عزت السيد أحمد

نهاية الفلسفة

كل الحقوق محفوظة

الكتاب: نهاية الفلسفة.

المؤلِّف: عزَّت السَّيد أحمد.

الطَّبعة الأولى : ١٩٩٩م.

١٠٦ صفحة، قياس ب ٥: ١٧* ٢٤.

م: / / تاريخ: / / ١٩٩٩م.

النَّاشر: دار الفكر الفلسـفي للدِّراسات والتَّرجمة والنَّشر.

دمشق . ص.ب: ١٢١٥٧ . هـ.ف: ٦٢٢٢٦٥٥.

عزت السيد أحمد

نهاية الفلسفة

دار الفكر الفلسفي
دمشق ـ ١٩٩٩م

Ezzat Assayed Ahmad

THE END OF
PHILOSOPHY

Alfekr Alphasaphy for Publishing

Damascus. 1999.

الإهداء إلى

قسم الفلسفة

بجامعة دمشق

الدكتور عزت

مُقَدِّمَة

نهاية الفلسفة ... دعوى عريضةٌ، وادِّعاء كبير ... هل يمكن أن تنتهي الفلسفة بهذه البساطة وهذه السهولة ؟! هل يمكن أن تنتهي الفلسفة بجرَّة قلم أو بمجرَّد حكمٍ يدَّعيه أيٌّ كان من يدَّعيه ؟!

لا شكَّ في أنَّ عنوان كتابنا هذا سيثير حفيظة الكثيرين الكثيرين وبأكثر من معنى من إثارة الحفيظة؛ فهو من ناحية سيرتطم بكثير من أغشية طبول الآذان ويرتد عنها ارتداد كرة المطاط عند اصطدامها بجسم صلب، ومن ناحية غيرها ستلاقي كثيرٌ من العقول عنتاً كبيراً لدى محاولة تقبل هذا العنوان المستفز، وفي الوقت ذاته سيُقبل كثيرٌ على هذا العنوان بمزيد من الغبطة والسُّرور، وربَّما بابتسامة صفراويَّة وازورار عينين متشح بالشماتة ... ومن الضرورة بمكان ألا تكون هذه هي وحدها ردود الأفعال الممكنة أو المتوقعة.

ولكن ذلك كله مما ليس يقدم أو يؤخر في الأمر كثيراً ولأكثر من سببٍ، ففي الدَّرجة الأولى لا يجدر بنا مسايرة ذوي الرؤى المسبَّقة الذين يرتجلون أحكامهم بناء على أفكارهم المسبَّقة أو على عدم تفهُّم حقيقيٍّ للموضوع، أو عدم الوقوف على أبعاده الحقيقية. صحيحٌ أن العنوان يوحي بشيء ما، وصحيحٌ أنه قد يختصر الكتاب وهذا ما يفترض فيه أصلاً، ولكن ذلك ليس المسوِّغ الكافي للحكم على الكتاب أي كتاب، لأنَّ أي عنوان إنما ينطوي على حكم، أو بالمعنى الأكثر دقَّة يتضمَّن ادِّعاءً، والحكم أو الادِّعاء يبرهن من خلال مضمون هذا الكتاب، ومن ثم يجب أن نتساءل: بأيِّ حقٍّ أرفض حكماً، أو ادِّعاءً، أو أقبله من غير الوقوف على الحجج المقدمة للدفاع عن هذا الحكم أو الادِّعاء؟! إنَّ في القبول والرفض كليهما على هذا النحو المرتجل مصادرة على حقٍّ لا تجوز؛ فالقبول المباشر مصادرة من القابل بالحكم على عقله ذاته أوَّلاً، وعلى حقِّ المدعى عليه ثانياً، والرفض المباشر مصادرة أيضاً من رافض الحكم على عقله ذاته أوَّلاً، وعلى حقِّ صاحب الادِّعاء ثانياً، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإنَّ بعضاً غير قليل ينطلق في حكمه المرتجل من تسرع ولهوجة في فهم المقصود لسبب أو لآخر، الأمر الذي يوقعه في شراك عدم فهم الدلالات اللغوية الصحيحة أو الدقيقة المتضمنة في الحكم أو الادعاء أو العنوان، وهذه المشكلة موجودة وضحاياها كثيرون، وهذا مما دعاناً أصلاً إلى هذا التَّوضيح.

وفي الدرجة الثانية فإنَّ الأمر ليس موضع رؤى أو قناعات شخصيَّة ترتجل اعتباطاً من غير رويَّة وتفكير، أو من غير استناد إلى المعطيات الواقعيَّة

التي تفرض ذاتها على الجميع شاؤوا أم أبوا، أو من غير الاطلاع على هذه الوقائع.

نعم، من حقِّ أيِّ واحد أن يرى ما يشاء، وأن يقتنع بما يشاء، وأن يعتقد ما يشاء. ولكن على من يطالب بذلك لنفسه ألاَّ يصادر على حق غيره في اعتقاد ما يرى ويشاء. وعلى من أراد لنفسه أو موقفه أن يكون محترماً من قبل الآخرين أن يحترم هو الآخرين ومواقفهم.

وانطلاقا من ذلك يمكن القول: إنَّ الفلسفة الآن تمرُّ بأزمة حقيقيَّة ليست كأيِّ من الأزمات التي مرَّت بها فيما قد سلف من أيامها الخالية، فإذا كان خصوم الفلسفة وأعداؤها هم الذين يكيلون لها الاتِّهامات ويشنون عليها الهجمات تلو الهجمات ... وإذا كان الفلاسفة أنفسهم أيضاً يهدمون ما قد بنى أسلافهم ليبنوا فلسفاتهم، ويتهمون بعضهم اتِّهامات قد لا تقل خطورة عن اتِّهامات أعداء الفلسفة وخصومها ... فإنَّ الأمر الآن مختلفٌ تماماً، لأنَّ مفهوم الفلسفة بحدِّ ذاته الآن هو المعرض للخطر والطَّعن، فإذا ما غضضنا الطَّرف عن افتراءات أعداء الفلسفة وخصومها، وعن طعون الفلاسفة ببعضهم بعضاً، فإننا لا نستطيع أن نغض الطرف انسلاخ العلوم المتزايد عن حضن الفلسفة حتَّى غدت الآن من غير ميدان تبحث فيه، لقد انسلخت عنها كلُّ ميادينها حتَّى أقربها إليها، بل حتَّى أعزَّ أجزائها إليها وألصقها بها؛ الميتافيزياء والمنطق والأخلاق والجمال، أمَّا المباحث الأخرى فلا تسأل عنها لأنَّها نالت وثائق استقلالها منذ زمن بعيد، فما الميدان الذي تستطيع الفلسفة أن تدَّعيه لها الآن ؟؟!!

كثيرون يشكِّكون فيما إذا كان بإمكان الفلسفة أن تدعي أن لها الميدان الذي تنفرد فيه وحدها من دون سواها، وكثيرون يشككون في أنَّ الفلسفة ما زالت فلسفة أو تستحق أن تقول ها أنا ذا موجودة !! هذا ما يدور الآن في أروقة الفكر العالمي، فما مدى مصداقيَّته ؟ هذا ما سنحاول تبيانه ومناقشته من خلال كتبانا هذا.

على أنَّ الذي لا بدَّ من الإشارة إليه هنا هو أنَّ هذا الكتاب أعدَّ في الأصل عام ١٩٩٥م بوصفه محاضرة تبحث في مشهد الفلسفة المعاصر، ولكنها ككرة الثلج سرعان ما راحت تكبر وتكبر حتَّى تحولت المحاضرة في العام التَّالي إلى هذا الكتاب الذي أصبح: **نهاية الفلسفة**.

عزَّت السَّيد أحمد

دمشق ـ ١٩٩٦م.

الفصل الأَوَّل

فـــكرة
مـــوت
الفلسـفة

إنَّنا أَمام أَزمة الفلسفة؛ الأَزمة الَّتي قد تكون آخر الأزمات، لأَنَّها لن تنتهي إلاَّ بتركها لافظةً أَنفاسها الأَخيرة.

ما الَّذِي بقيَ من الفلسفة للفلسفة؟!

مهما يكن شأنُ الحذلقات اللُّغويَّة والفكريَّة الَّتي تحاول إثبات إمكان وجود نتيجةٍ دون سببٍ أَو مقدّماتٍ فإنَّ الأَمر يظلُّ في إطار الحذلقة. نعم؛ لا يوجد دخانٌ من غير نار، ولولا وجود المثير لما تناثر في السَّماء الغبار. وتساؤلنا عمَّا بقي من الفلسفة ليس اجتهاداً، ولا تفتُّقاً فكريًّا جديداً؛ إنَّ الفلسفة الآن في مأزقٍ حقيقيٍّ، وربَّما تجرَّأ بعضٌ فنعتها بالعقم، أَو حكم بتلاشيها، وربَّما حملَ أَوراق نعوها ودار بها، وليس إعلان موت الفلسفة بالجديد، بغضِّ النَّظر عن أُدروجات إعلانات الموت الَّتي لم ينجُ شيءٌ منها أَو ميدانٌ؛ فقد «انهارت مجموعةٌ من الأَوهام الرَّئيسة الَّتي نشأت في القرن التَّاسع عشر ودفعت الفلاسفة إلى فقد الثّقة في قدرة الفكر على فهم الواقع»[1] فظهرت مواقف تشكّك في قيمة العلم. وتمَّت نعوة الفن والأَدب. وأَعلن **نيتشه** موت الله. واستنكر **ميشيل فوكو** فذهب إلى موت الإنسان. ووضع **فرنسيس فوكوياما** نهايةً للتَّاريخ . ومع انهيار التَّجربة الشّيوعيَّة أُعلن

[1] . وائل غالي: **ذروة الفلسفة في عصر الهاوية** . ضمن مجلة: القاهرة . العدد ١٦١ . ص ١٤.

موت الصِّراع الطَّبقي والتَّاريخ، بل لقد نشرت صحفُ نعوة المستقبل... ومن هٰذا القبيل إلى حدٍّ ما تابع **جون باترفلاي** هٰذه الموجة قائلاً: «كما أعلنا في وقت متأخِّر، وغير دقيق، موت التَّاريخ، لا أظنُّ أنَّنا سنعثر على ما تبقَّى من رفات الفلسفة»[٢].

لقد وصلت عدوى الموت وحُمَّاه الآن إلى الوقائع ذاتها. ولا ندري ما الَّذِي سيأتي بعد ذلك.

ولكنَّ ذلك كلَّه ليس مما نقصده ونرمي إليه، ولا ننطلق منه أو نحاول الاتِّكاء عليه؛ إنَّنا في حقيقة الأمر أَمام مشكلةٍ من نوع آخر لا علاقة لها بالأُدروجات والتَّرويجات والحذلقات الفكريَّة. إنَّنا أَمام أَزمة الفلسفة؛ الأَزمة الَّتي قد تكون آخر الأزمات، لأَنَّها لن تنتهي إلاَّ بتركها لافظةً أَنفاسها الأَخيرة.

استخدمَ **كانت** . E.Kant اصطلاح موت الفلسفة مرَّتين في «مقالٍ قصيرٍ من عشرين صفحةً يحملُ عنوان: **حول نغمة استجمامٍ تجري حديثاً في الفلسفة.** وكان يقصدُ في الأُولى أَنَّ الفلسفة تموت حين تستحيلُ إلى (رسالةً فوق طبيعيَّة . Ubernatürlche Mittelung)، أَو (إشراقةً تصوُّفيَّةً . Mystische Erleuchtung). وقبل آخر المقال سالف الذّكر يحذّر **إمانويل كانت** . E.Kant من خطر (الرُّؤية المهووسة . Schwarmerische Vision)

[٢] . نبيه البرجي: **باحث أمريكي يتحدَّث عن دور الفلسفة في تخريب الزمن البشري** . ضمن جريدة **المحرر العربي** . باريس . العدد ٣٧٧ . ٢٨ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٢م . ص ٣٧.

الَّتي لو سيطرت على الفلسفة قضت عليها»[٣]. **فهل ماتت الفلسفة لأَنَّها استحالت إلى خطاب ميتافيزيائيٍّ أَم لأَنَّها أَضحت رؤًى مهووسةً ؟؟**

إنَّ الوقوف عند مفردات تساؤلنا يُبْدي وكأَنَّنا حكمنا مسبَّقاً بموت الفلسفة، ولذلك حريٌّ بنا الخروج من إطار الفكر المسبَّق، والتَّساؤل بصيغةٍ مُلحفَةٍ ببعض التَّهذيب واللَّباقة، وإن كانت الفلسفة ذاتها لا تعرف للتَّهذيب معنًى في حضرة الحقيقة، فنقول: **هل ماتت الفلسفة؟**

«لم يترك **هيجل** . Hegel في كتاباته ما يمكنُ عدَّه رؤيةً أَو نظريَّةً في نهاية الفلسفة، ولكنَّ قضاياه بالمعنى المنطقي، ودلالة فكره تؤهّله ليكون مدار التَّفكير في مشكلة نهاية الفلسفة. وتطرَّق **يوهان جوتليب فيشته** . Fichte لموضوع موت الفلسفة في أَواخر أَيَّامة، في كتابه: مساهمات في خصّيصة الفلسفة الرَّاهنة بهدف توحيد تناقضاتها؛ ١٨٢٩م. وقد أَثار **فريدريش فيلهلم شلنج** . Schelling المشكلة ذاتها في أُولى كتاباته: إمكان شكل الفلسفة بوجهٍ عام. واقترب **هولدرن** . Hôlderin من المشكلة عندما أَثار مشكلة وحدة الفلسفة وصياغتها في كتابه: مدخل لمسودة هيبيريون»[٤]. وإذا كان **كانت** . Kant صاحب الشَّرارة الأُولى الَّتي أَشعلت فتيل فكرة موت الفلسفة في العصر الحديث فإنَّ **دروس** . A.R.Drous يُرجعُ هذه الشَّرارة إلى قبل أَلفي عام[٥]. أَي إلى مهد نشأة الفلسفة. وهذه حقيقةٌ أَدَّعي أَنَّها لا

---

[٣] . وائل غالي: **ذروة الفلسفة في عصر الهاوية** . ص ١٦. ١٧.

[٤]. وائل غالي: **ذروة الفلسفة في عصر الهاوية** . ص ١٨.

[5] - A .R. Drous:Le **Greek et le Rational**. Flammarion. Paris. 1977. P189.

جدالَ فيها. ذلكَ أَنَّ أَزمة الفلسفة ليست جديدةً ولا عارضةً، بل هي قديمةٌ قدم الفلسفة، ونستطيعُ التَّأكيد لا الزَّعم أَنَّ الفلسفة أَوجدت أَزمتها ومأزقها منذ لحظة ولادتها؛ إذ أَعلنت مع مطالع تفتُّح عينيها إلى النُّور أَنَّها: شكٌّ وتساؤلٌ وبحثٌ عن العلل الأُولى. أَليس في ذلك ما يكفي ليجعلَ من الفلسفة والفلاسفة موضع استهجان الجمهور، وارتيابه، ودهشته أَيضاً ؟!

لقد اصطدمت الفلسفةُ مباشرةً بما يُسمَّى المعرفة الشَّائعة، وللمعرفة الشَّائعة وقعٌ بليغٌ في النَّفس بفضل سلطانها الآسر السَّاحر الَّذِي لا يقلُّ في سطوته عن بخور الفلسفة السّحريّ الَّذِي يشمخُ برؤى الفلاسفة وتصوراتهم عن أَنفسهم وفلسفاتهم. ولذلك لاقت الفلسفةُ والفلاسفةُ عَنَتَ النَّاس دائماً، وتصلُّب أَفكارهم ومشاعرهم في التَّعامل معها. ولا نستطيعُ الجزم فعلاً فيما إذا كانت هذه ميزةً للفلسفة أَم نقمةً عليها !! إنَّها مسألةٌ معلَّقةٌ لم يُقطع الجدلُ فيها، ولعَّله لن يحسم.

ولكنَّنا لا نستطيعُ إلاَّ أَن نتذكَّرَ أَنَّ الأَثنيّينَ قد أَجْلُو **بروتاجوراس** Protagoras. عن أَرضهم. وحكموا على **سقراط** Socrates. بالإعدام لأَنَّه جاء بعقائد تتخالف مع أَهوائهم. وأَوشك **أَفلاطون** Plato. يفقدُ حرّيَّته مرَّتين لأَنَّه أَراد أَن يطبّقَ مشروعه الفلسفي على مجتمعه. وكاد **التَّوحيديُّ** أَن يلقى حتفه مرَّاتٍ في بلاط السَّلاطين بسبب رؤاه الفلسفيَّة. وَحُوكمَ **الكنديُّ والفارابيُّ وابنُ سينا** بمفعولٍ رجعيٍّ، بعد سنين طويلةٍ، محاكمةً كادت تُخرجهم من قبورهم. وربَّما وقف أَعداءُ الفلسفة وراء موت **ابن باجه** مسموماً. ونُفيَ **ابنُ رشدٍ** من قرطبة، وأُحرقت كتبه وكتب الفلسفة كلَّها بسببه. وأُحرق **برنو**.

Bruno حيًّا لنشوز فكره عن المألوف. وحاول أَعداء **فرنسيس بيكون**. Bacon النَّيل منه بشتَّى الوسائل. وطاردَ أَربابُ السُّلطة **فولتيرَ**. Voltaire وطردوه من بلادهم. ومثله أَيضاً كان شأنُ **روسُّو**. Rousseau مع الملوك والحكَّام الَّذِين لاحقوه ونفوه. ومنذ أَواخر مرحلة الفلسفة الحديثة لم يطلع علينا فيلسوفٌ إلاَّ بإثارة عاصفةٍ هوجاءَ من غُبار الجدل والمماحكات؛ بدءًا من الماركسيَّة والوجوديَّة والوضعيَّة، مروراً بالبنيويَّة والشَّخصانيَّة والظَّاهراتيَّة، وصولاً إلى التَّفكيكيَّة والشُّكوكيَّة والتَّوليديَّة.

ذلكم هو تاريخ الفلسفة. وكأَنَّ قدرها أَن تظلَّ في صدامٍ مباشرٍ دائمٍ بالجمهور؛ مع غير الفلاسفة، بل مع غير المهتمين بالفلسفة لأَن الفلاسفة أَنفسهم في صدامٍ وتنافرٍ. ولا غرابةَ إذ ذاك أَن يكونَ المفهوم الأَكثر شيوعاً عن الفلسفة لدى عامَّة النَّاس أَنَّها ثرثرة، أَو كلام هراء ... أَو تشدُّق بألفاظ يغلب عليها عدم الترابط، أَو عدم تضمن أَي معنى حتى باتت نسْبَةُ الفلسفة أَو التفلسف إلى شخصٍ ما شبه سُبَّةٍ أَو انتقاص، يتفوَّه النَّاس بها على السَّجيَّة كلما التقى أَحدهم بفضولي ثرثار يُلقي الكلام جزافاً دون حساب، أَو راح يتحذلق بألفاظ مبهمة غير مفهومة ... فكثيراً وكثيراً جدًّاً ما يكون الجواب الجاهز الناجز القريب لإسكات مثل هذا المتحذلق:

بلا فلسفة .... أَو: لا تتفلسف.

وليس الدارسون أَو المثقَّفون، معظمهم، بعيدين عن هذا الفهم الخاطئ للفلسفة، وما حدث مع **هنري برجسون**. Bergson ؛ صاحب الشأن الكبير في الفلسفة المعاصرة، نموذجٌ لا يخلو من الطرافة عن ذلك، إذ ذهب إلى

ديبوف؛ أُستاذه في الرياضيات، ليخبره بما عزم عليه، ليجيبه الأخير بجدّية صارمة: « إنَّك تَقْدُمُ على عمل جنوني، **فأَنت تستطيع أَن تصبح رياضيًّا، ولكنَّك بهذا لن تكون إلا مجرَّد فيلسوف** »[٦] وكأنَّ الفيلسوف شيء نكرة، أَو لا قيمة له.

انطلاقاً من هذه الوضعيَّة التَّاريخيَّة اشتقَّ **جان لوراند دالمبير** . D'Alembert نبوءته عندما أَلمع في مقدّمة الموسوعة إلى ما ستؤول إليه الفلسفة من حال سيئة، قائلاً: « لا أَرتاب في أَنَّ هذا اللَّقب . فلسفة . تفلسف . سيغدو بعد قليل سُبَّةً في نظر المفكرين، كما غدا في اليونان اسم المغالط . Sophiste الَّذِي كان يشير على الرَّغْمِ من ذلك إلى معنى الحكيم »[٧].

هذا لا ينفي ما كان للفلسفة من أَهمّيَّةٍ ومكانةٍ ودورٍ، فلا شكَّ في أَنَّها كانت تتمتَّعُ بسمعةٍ عطرةٍ مشرّفةٍ، ومكانةٍ ساميةٍ رفيعةٍ، فقد « كان أَقوى الرجال في قديم الزَّمان على استعداد أَن يبذلوا أَرواحهم في سبيلها؛ فقد آثر **سقراط** . Socrates. أَن يكون شهيداً لها من أَن يعيش مولّياً الأدبار أَمام أَعدائها؛ وخاطر **أَفلاطون** .Plato بنفسه مرَّتين ليفوز بمملكة لها، وعشقها **مرقص أُوريليوس** . Marcus Aurelius أَكثر من عرشه؛ وحُرقَ **برنو** . Bruno حيَّاً ولاءً لها، وكانت الفلسفة يوماً مصدر خوف للعروش والبابوات فأَلقوا

---

[٦] . د. محمد بديع الكسم : **دراسة حول التطور الخالق لهنري برجسون**، ضمن كتاب : **تاريخ الفلسفة المعاصرة** . إعداد قسم الدراسات الفلسفية المعاصرة . جامعة دمشق . ١٩٨٧ . ص ٣ .

[٧] . د. عادل العوا : **مقدِّمات الفلسفة** . منشورات جامعة دمشق . مطبعة ابن حيَّان . دمشق . ١٩٨٦ . ص ١٩٧.

المؤمنين بها في السجن حتَّى لا تسقط الأُسر الحاكمة، ونَفَتْ أَثينا **بروتاجوراس** . Protagoras. وارتعشت الإسكندرية أَمام **هيباتيا** . Hypatia. وخطب أَحد البابوات العظام ودَّ **إرازمس** . Erasmus خوفاً منه، وطارد الحكام والملوك **فولتير** . Voltaire من بلادهم، ثمَّ أَكلت الغيرة نفوسهم عندما انحنى العالم المتحضّر في النهاية أمام عظمة قلمه، وعَرَضَ **ديونيسوس** . Dionysius وابنه على **أَفلاطون** . Plato حكم سراقوسة[٨]، وجَعَلَتْ معونة **الإسكندر** . Alexander الملكية من **أَرسطو** . Aristotle أعلم رجلٍ في التاريخ، وكاد البحَّاثة أَن يرفع **فرانسيس بيكون** . Bacon إلى زعامة إنجلترة وحماه من أَعدائه، ونازل **فريدريك الأكبر** في منتصف اللَّيل، بعد نوم قوَّاده العظام، الشعراءَ والفلاسفةَ، حاسداً إياهم على اتساع ممالكهم غير المحدودة ونفوذهم الخالد.

كانت تلك الأيَّام عصر عظمة للفلسفة، حين طوت بشجاعةٍ كلَّ معرفة تحت جناحها، وتقدَّمت في كلّ مكان صفوف التقدُّم العقلي، كان النَّاس يمجّدونها في ذلك الزَّمان، إذ لم يكن شيءٌ يعدُّ أَشرف في محبَّة الحقّ. ووضع **الإسكندرُ** . Alexander **ديوجينسَ** . Diogenes في أَوَّل منزلةٍ بعده هو فقط أَمرُ **ديوجينسَ الاسكندرَ** أَن ينتحي جانباً حتى لا يحجب جسمُه الملكي الشمسَ. واستمع الحكام والمفكّرون والفنَّانون في سرور إلى **اسباسيا** . Speusippus. وحجَّ عشرة آلاف من الطَّلبة إلى باريس ليأخذوا

[٨] . وتلفظ أيضا سرقسطة على ما ورد في بعض الترجمات ولاسيما القديمة.

العلم على **أَبيلارد** . Abelard. لم تكن الفلسفة حينذاك العانسَ ذاتَ الحياء الَّتي تحبس نفسها داخل الأَبراج بعيدةً عن أَعمال الدنيا.

لـمْ تَخْشَ عُيُونُ الفلسفة الصّافية ضوء النَّهار، بلْ أَقدمتْ على العيْش في خطر، ورحلت بعيداً إِلى بحارٍ مَجْهُولةٍ ... لقد كانتْ يوماً من الأيّام ضوءًا مُتعدَّد الألوان يمْلأُ أَغوار الأنفُس حرارةً ونُوراً ... لقد أتى عليْها حينٌ من الدَّهر كانتْ أعظم عرُوسٍ في سائر العالـم العقْليِّ، وشمختْ على خُدَّامها، أمَّا الآن وقدْ تجرَّدت من جمالها وسُلطانها فإنَّها تقفُ مُنعزلةً بائسةً، لا يبجِّلها أحدٌ »[٩].

فهلْ تجرَّدت الفلسفةُ حقَّاً من سُلطانها وجمالها لتقف مُنعزلةً بائسةً لا يُبجِّلها أحدٌ، وليغدُوَ من ثمَّ اعتقادُ العَوام . على جُوره . (بأنَّ الفلسفة ثرْثرةٌ) واقعاً فعليًّا ؟

لقد بات جوابُ مثل هذا السُّؤال بمنزلة تحصيل الحاصل، اللَّهُمَّ فيما خلا ما بقي في الذَّاكرة من أثرٍ نديٍّ عاطرٍ. ذلك أنَّ اعتقاد العامَّة هذا قد أصبح نغمةً كثيرة التَّردُّد الآن على ألسنة المثقَّفين. بل المفكِّرُون أنفُسهُم، على اختلاف ميادينهم، يستمتعُون كثيراً بلوْك هذه التُّهمة الَّتي لم يعُد يفصلُها عن الاعتراف بها حقيقةً سوى بضع سنين من تكرارها.

وبالانطلاق من هذا الواقع المأساويِّ المرير للفلسفة في عصرنا الرَّاهن نستطيع إجمال أزمتها أو مأزقها أو نهايتها في محورين رئيسين؛ أوّلهما الأزمة

[٩] . ول ديورانت : **مباهج الفلسـفة** ؛ ترجمة أَحمد فؤاد الأَهواني . مكتبة الأنجلو المصرية . ط٢ . ١٩٥٧م . ج١ . ص ١١/١٢.

التّقليديّة الَّتي رافقت الفلسفة منذ زمنٍ بعيدٍ ولم تزل، والَّتي تنشعب بدورها إلى عددٍ من التِّفريعات المختلفة صنوفها باختلاف الرَّائي. وثانيهما الرَّاهنيَّة التَّاريخيَّة للمعرفة على تنوُّع ميادينها في المرحلة المعاصرة.

* * *

* * *

الفصل الثاني

معضلة الفلاسفة!!

يقال عن الفلسفة إنَّها عبثٌ، لأَنَّ الفلاسفة على نقيض العلماء لا يتفقون فيما بينهم، وكلُّ نتيجة يصلون إليها لا بدَّ من إعادة النظر فيها من جديد، أَضف إلى ذلك أَنَّ النَّظريات الَّتي يضعها الفلاسفة يضادُّ بعضها بعضاً.

إميل برهيه

على الرُّغم من أَنَّ الفلسفة تضربُ جذورها في عمق التاريخ، وعلى الرُّغم من أَنَّ من زاولوا الفلسفة مدى تاريخها . كما يشهد الفيلسوفُ الفرنسيُّ **رينه ديكارت** . R.Descartes إنَّما كانوا من أَفضل العقلاء[١٠]، إلا أَنَّنا مازلنا نجدها تقف أَمام مفارقات غريبة عجيبة، ومواقف لا تحسد عليها، ولذلك لا نجد من غضاضة في أَن يقول **تيودور جوفروا** . Joufroy : « **إنَّ الفلسفة علم لم يحدِّد هدفه بعد** »[١١].

وعلى الرغم مما في هذا الحكم من جور من الفيلسوف على الفلسفة، إلا أَنَّه لا يخلو البتة من بعض الصِّحة إذا ما نظرنا إلى الإبداعات الفلسفية؛ ماضيها وحاضرها، وتضارب مذاهبها واتجاهاتها، على نحو يجعلنا نقف

[١٠] . *رينه ديكارت* : **مقـالة في الطـريقة** ؛ ترجمة جميل صليبا . اللَّجنة اللبنانية لترجمة الروائع . ط٢ . ١٩٧٠ . ص ١٧.

[11] - Joufroy . Th **: Nouveaux Mélange .** p . 103 **.**

حائرين حقَّاً، لتتأكَّد بذلك المقولة الشائعة بين أَوساط المفكِّرين على الخصوص وهي « أَنَّ الفلسفة تدع الفكر حائراً في أَغلب الأحيان » سيَّان كان ذلك بسبب الآراء المطروحة في مذهب ما، أَم أَنَّه أَدَّى إليه تباينُ الآراء في المذاهب وتباعد مراميها الَّتي تكاد توحي إلى المرء بعدم وجود أَيِّ صلة أَو وحدة في هذا العلم، إن جاز لنا أَن نسمِّي الفلسفة علماً كما أَراد **إدموند هوسرل** . Husserl.

وانطلاقاً من هذا الاعتبار ذاته اتخذ **أَجريبا** . Agrippa ؛ تلميذ **أَناسيداموس** . Aenisedimus الشَّكَّاك من « تناقض الفلاسفة فيما بينهم، وفيما بينهم وبين العامَّة »[١٢] حجَّة منهجية أُولى تسوِّغ له اتجاهه الريبي، والحقُّ أَنَّ هذه التهمة على موضوعيتها . لا بوصفها تهمة . قد ظلَّت لصيقة بالفلسفة منذ مراحلها المبكرة بوصفها شائنة وشائبة تعكِّر نقاءها وصفو مائها حتَّى صار « يقال عنها . كما يرى مؤرِّخ الفلسفة **إميل برهيه** . Brehier إنَّها عبثٌ، لأَنَّ الفلاسفة . على نقيض العلماء لا يتفقون فيما بينهم، وكلُّ نتيجة يصلون إليها لا بدَّ من إعادة النظر فيها من جديد، أَضف إلى ذلك أَنَّ النَّظريات الَّتي يضعها الفلاسفة يضادُّ بعضها بعضاً، وأَنَّ الخصوم في هذه الحرب اللاَّنهائية يردِّدون الحجج ذاتها بدون مللٍ ولا جدوى »[١٣] كما ذهب **مارسيل جيرو** إلى القول إنَّه « ليست هناك فلسفة واحدة، بل فلسفات مغلقة على نفسها، وكلُّ واحدة منها تعدُّ نفسها العالم

[١٢] . يوسف كرم : **تاريخ الفلسفة اليونانية** . دار القلم . بيروت . د.ت . ص ٢٣٩ .

[13] - Brehier. E**: Les Thémes Actnels de la Philosophie.** Paris. 1951 K p, 1**.**

كلَّه، وبالتالي ليس هناك منطق واحد لكلِّ فلسفة، بل هناك عدد من مذاهب المنطق يساوي عدد المذاهب الفلسفية. إنَّ الكشف عن هذه المذاهب المنطقية، وعن البنية الخاصَّة بكلِّ مذهبٍ منها، يستبعد إقامة منطق متعال للفلسفات يستنتج استنتاجاً قبلياً، ويصح قبلياً لكلِّ مذهبٍ ممكن، إنَّ نظام المنطق الديكارتي لا يصلح إلا عند **ديكارت**. R.Descartes، وتأليف **مالبرانش**. Malebranche لا يصلح إلا عند **مالبرانش** وحده، كما أَنَّ توفيقية **لايبنتز**. Leibnz لا تصلح إلا عند **لايبنتز** وحده، ولا يصلح التحليل المتعالي إلا عند **كانت**. Kant دون غيره، إنَّ لكلٍّ من **فشته**. Fichte و**شلنج**. Schelling و**هيجل**. Hegel جدله الخاص، الَّذِي يفصل بينهم منذ البداية، لذلك يمكن القول: إنَّ كلَّ فلسفة تنطوي دائماً على (مقالة في الطريقة) خاصَّة بها، على نحو مضمر أَو صريح »[١٤]، ومن ذلك على سبيل المثال أَنَّه على الرُّغم من اتِّفاق **روسُّو**[١٥] . J.J Rousseau و**سبينوزا**[١٦]. B.Spinoza و**هولباخ**[١٧] .

[١٤] . م. جيرو : **المنطق والنظام المعرفي المكون للمذاهب الفلسفية ؛ الموسوعة الفرنسية** . م١٩ . الفلسفة، الدين . نقلاً عن: **د. محمد بديع الكسم : البرهان في الفلسفة** . ترجمة : جورج صدقني . وزارة الثقافة . دمشق . ١٩٩١ م . ص ٢٣ .

[١٥] . جان جاك روسُّو: **أَصل التَّفاوت بين البشر .** ترجمة؛ بولس غانم . اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع . بيروت . ١٩٨٢م..

[16] - Janathan Bennett: **A Study of Spioza's Ethics**. Cambridge, London. 1984.

[17] - P.-H.d'Holbach: **The System of Nature**. New York. 1970.

P. Holbach و**جون لوك**[١٨] . J. Locke على أَنَّ طبيعة الإنسان خيِّرةٌ بالأَصل والفطرة فقد اختلفوا في التَّفسير والتَّعليل. والَّذِين عاكسوا هذا فذهبوا إلى أَنَّ طبيعة الإنسان شريرةٌ بالأَصل افترقوا في أَصل هذا الشَّر؛ فقد
٤ مال **توماس هوبز** . T. Hobbes إلى أَنَّ «الإنسان ذئبٌ لأَخيه الإنسان»[١٩]، وأَكَّد **هيبرو جيرمايا** أَنَّ «قلب الإنسان، فوق كلِّ شيءٍ آخر، مخادعٌ»[٢٠]، وكان **المتنبِّي**؛ الشَّاعر الفيلسوف، قد أَصرَّ على أَنَّ الظُّلم هو أَصل طبيعة الإنسان بقوله[٢١]:

٨ **والظُّلم من شِيَمِ النُّفوس فإنْ تَجِدْ**
ذَا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لا يَظْلِمُ

فيما كان **إدموند هوسرل** . Husserl وإن لم يختلف من حيث النتيجة عن **إميل برهيه** . Brehier و**مارسيل جيرو** . أَقلَّ حدَّة في تصوير هذا
١٢ التناقض إذ يرى أَنَّه لا توجد « جهود متبادلة، ولا شعور بالمسؤولية، ولا روح تعاون جدِّي، ترمي إلى نتائج ذات قيمة، بصورة موضوعية، أي إلى نتائج صفَّاها النَّقد المتبادل، وأصبح بمقدورها أَن تعادل كلَّ نقد لاحق، لم

---

18 - John Locke: **Essay Concerning Human Undersanding** (London. 1690). The partially modernized quotions are from P.H.Nidditch's authoritative edn. Oxford, 1975.

19 - Baumgol: **Hobbes'sPolitical Theory**. Cambridge, London. 1988.

٢٠ . بات روبرتسون: **النِّظام اليهودي العالمي الجديد** . ضمن مجلة: القاهرة . العدد ١٦١ . ص ١٣٣.

٢١ . أَبو البقاء العكبري: **شرح ديوان أبي الطَّيب المتنبِّي** . تحقيق السَّقا والأبياري وشلبي . نشر مصطفى البابي الحلبي . القاهرة . ١٩٧١م . ج٤ . ص١٢٥.

يعد هناك شيء من هذا له وجود، فكيف يكون بالإمكان أيضاً أن يكون هناك بحث وتعاون حقيقيان »[٢٢].

أَلا يدفعنا هذا . على حدِّ تساؤل **ديورانت** . Durant إلى أَن نقبل بكلِّ حماسٍ « أَنَّ الفلسفة تناقض نفسها باستمرار مع تتابع مذاهبها ؟ وأَنَّ الفلاسفة جميعاً خاضعون لثورة جنون قتل الأخوة، فلا يهدأ لهم بالٌ حتَّى يحطِّموا كلَّ منافس يطالب بارتقاء عرش الحقيقة ؟ وكيف يجد الإنسان المشغول بالحياة من فسحة الوقت ما يفسِّر به هذه المتناقضات العلمية، أَو يهدِّئ به هذه الحرب ؟ أَلا يهدم هؤلاء الفلاسفة بعضهم بعضاً ؟ »[٢٣]. لا نجد مناصاً على كلِّ الأَحوال من إقرار **هوسرل** . Husserl فيما ذهب إليه من أَنَّ « عدد الفلسفات لا يقلُّ عن عدد الفلاسفة على وجه التقريب»[٢٤].

ويكتملُ المشهدُ المثيرُ للإدَّهاش والإشَّداه بطبائع الفلاسفة ذواتهم. فإذا كانت الفلسفة «تميلُ إلى ما هو متعالٍ وكونيٍّ»[٢٥] كما يرى **روبرت سولومون** . Robert Solomon الَّذِي جاهد لتحطيم هذه الفكرة، فبأَيِّ حقٍّ يوشِّحُ الفلاسفةُ أَنفسهم برداء التَّعالي وإزار العظمة اللذين يراهما علماء النَّفس عقدة نقصٍ إن أَحسنوا الظَّنَّ، ومركَّب هَوَسٍ إن حاولوا الاعتدال، وضرباً من الجنون الميئوس من شفائه إن كانوا على عَجَلَةٍ من أَمرهم؛ لما

---

[٢٢] . أَدموند هوسرل : **تأملات ديكارتية** ؛ ترجمة؛ تيسير شيخ الأرض . دمشق .

[٢٣] . ول ديورانت: **مباهج الفلسفة** . م.س . ص ٢٢ / ٢٣ .

[٢٤] . **تأمُّلات ديكارتية** . م.س . ذاته .

[25] - Robert Solomon**: The Bully Culture; Enlightenment, Romanticism, and the Transcendental Pretense 175-185.** C. Maryand: Littlefield Adams. 1993. P19.

يرونه من الفلاسفة عندما يضعون أَفكارهم فوق سياق التَّاريخ ولا يرون ما سواهم إلاَّ رعاعاً؟! اللَّهمَّ إلاَّ قلَّةً هم الاستثناء؛ الاستثناء الَّذِي يؤكِّد القاعدة.

نعم، الفلاسفة وحدهم وضعوا المخطَّطات النَّهائيَّة لأَساليب العيش البشري، ولم يعترفوا بما دونها، لأَنَّهم وحدهم الأَقدر على تحريك البشر وعلى امتلاك المعرفة واقتناص الحقيقة. فإن كنَّا نحسن الظَّن بتهكُّم **سقراط** Socrates التَّوليدي، فما عسانا نقول بالمدينةِ المثلى الَّتي رسمها **أَفلاطون** Plato وأَنكر إمكان العيش الحقيقيِّ في ما خلاها من المدن؟ ولماذا أَصرَّ على أَنَّ الفيلسوف وحده صاحب حقِّ الحكم والقيادة؟! ومثله كان **الفارابي** في مدينته العالميَّة الفاضلة الَّتي لا يجوز أَن يحكمها غير فيلسوف، فإن تعذَّر وُجُودُهُ أَجاز على كُرْهٍ تفصيل ما يشبه الفيلسوف، أَو ما يكافؤه حسابيًّا، من عددٍ من الحكماء. وعندما أَجلسه **سيف الدَّولة** على عرشه ضَحِكَ وقال: أَحسنت، لأَنَّك لو قلت لي اجلس مكانك لجلست فوق عرشك لا عليه. أَمَّا **ابن سينا** فإنَّه لا يحبُّ خوض غمار معضلات غيره من المختصِّين، ولكنَّه على مضض الكاره وغير المختصِّ يحلُّها أَو يركِّبُها بأَفضل ممَّا يفعلُ أَهلها.

وقد وقف **الغزَّالي وبيكون** F.Bacon . **وديكارت** R.Descartes . **وكانت** Kant . أَمام ما وصل إليهم من معارف فلم تَرُقْ لهم أَسسها ونظمها فنسفها بعضهم من أَساسها وأَعادوا بناءها من جديد، وعدُّوا أَن أَنظمتهم المعرفيَّة هي الأُسُّ والأَساس، هي البداية والنِّهاية؛ «أَلم يحسب **ديكارت**.

R.Descartes أَنَّ فلسفته ستقضي قضاءً مُبرماً على الفلسفة المدرسيَّة؟ أَلم يسبقه **الغزَّالي** بدعوى القضاء على فلسفات الفلاسفة ليحلَّ محلَّ تهافت الفلسفة فلسفةً أُخرى هي فلسفته المتصوِّفة بالذَّات؟ وذهب **كانت** . Kant إلى أَنَّ مذهب نقد العقل المحض خيرٌ من مذهب **ولف** . Wolf؟»[٢٦].

أَمَّا **هيجل** . Hegel فقد ادَّعى «امتلاك المعرفة، وادَّعى بالتَّالي أَنَّه توقَّفَ عن البحث عنها، كما فعل الفلاسفةُ منذ ولدت الفلسفة ... وأَكَّدَ معايير ضابطة لعمليَّة التَّفلسفِ، وأَكَّد أَنَّه حقَّقَ المشروع الفلسفيِّ الأَزلي»[٢٧] وأَعلن من ثمَّ «بمزيجٍ من التَّواضع والخيلاء أَنَّ أَفكاره لم تكن له وإنَّما كانت أَفكار الإنسانيَّة، بل أَفكار المطلق ذاته، وهو لم يكن إلاَّ ناطقاً بها»[٢٨]. وحاول **كارل ماركس** . K. Marx بوثوقيَّةٍ مطلقة أَن يلوي عنق التَّاريخ ويلزمه بالسَّير وفق مقتضيات نظريَّته. وعلى نحوٍ مشابهٍ يضعُ **فريدريك نيتشه** . Niietzche في فم الفيلسوف الأَخير في كتابه: هكذا تكلم زرادشت «كلاماً يخاطب به نفسه في وحدةٍ مطلقةٍ:

. الفيلسوف الأَخير، هكذا أُسمِّي نفسي، لأَنَّي الرَّجلُ الأَخير، لا أَحدَ يكلِّمني سواي، وصوتي يأتيني وكأَنَّه صوتُ إنسانٍ يحتضر»[٢٩]. والوجوديون على عمومهم، تقريباً، يحقرون الإنسان بأَعظم ممَّا حاولوا تمجيده، فلم تخل

---

[٢٦] . د. عادل العوا: **مقدِّمات الفلسفة** . ص ٤٠.

[٢٧] . وائل غالي: **ذروة الفلسفة في عصر الهاوية** . ص ١٢.١٤.

[28] - Robert Solomon**: The Bully Culture; Enlightenment, Romanticism....** P3.

[٢٩] . وائل غالي: **ذروة الفلسفة في عصر الهاوية** . ص ١٧.

جلُّ كتبهم من عدِّ النأَس غوغاءً ورعاعاً وهمجاً ... وهذا **فولكييه** يشرح **سارتر** . Sartre قائلاً: «إنَّ هؤلاء النَّاس ليسو إلاَّ أَشياء كالأَشياء الأُخرى؛ كهذه الطَّاولة وكهذا التِّمثال، فهم يبلغون الوجود الحقيقي حين يوجدون لأَجلي»[٣٠]. «ووثق **هوسرل** . Husserl نفسه بجودة طريقته وصحَّة نهجه أَعظم وثوق»[٣١].

وفي محصِّلة الأَمر نقفُ حائرين لا ندري من هو الصَّادق في امتلاك الحقيقة، ولا نعرف أَين نقف!! أَلا يزعم الفلاسفةُ؛ كلُّ الفلاسفة أَنَّ مساعيهم قاطبةً من أَجل الإنسان؟! فَمَعَ من نذهب ترانا من هذا الخضمِّ الَّذِي لا تلتقي فيه موجتان؟! مع المثاليَّة أَم المادِّيَّة؟! وإذا كانت المثاليَّة فأَيَّ مثاليَّةٍ نختار، وإن كانت مادِّيَّة فمع أَيِّ مادِّيَّة نقف؟! وكلٌّ من هذه جميعاً يسفِّه غيره ويعدُّه مسخاً، سَقْطَاً مشوَّهاً !!!

ولذلك كلِّه أَخذت بالشُّيوع، والامتداد على مساحات العقول الفكرةُ القائلة: «يستطيع أَيُّ واحدٍ الادِّعاء أَنَّه يعرف أَكثر من **إقليدس** . Euclid في الرِّياضيَّات، ولكن لا يستطيعُ أَحدٌ الادِّعاء أَنَّه تفلسف بأَفضل ممَّا تفلسف به **أَفلاطون** . Plato»، لتؤكِّد أَنَّ الفلسفة والفلاسفة في مراوحةٍ دائمةٍ منذ النَّشأة الأُولى وحتَّى اللَّحظة الرَّاهنة. ومن ثمَّ ذهبَ **بات روبرتسون** إلى أَنَّ كلَّ فلسفة أَو طوباويَّة . Utopianism ظهرت تفترضُ مسبَّقاً «أَنَّها تستطيعُ إقامة نظامٍ مثاليٍّ بأُناسٍ غير مثاليين، لذلك فإنَّها

---

[٣٠] . بول فولكييه: **هذه هي الوجوديَّة** . ترجمة: محمد عيتاني . ١٩٥٣. ص ٩٩

[٣١] . د. عادل العوا: **مقدِّمات الفلسفة** . ص ٤٠ .

تحاول . مثل الحكم الماركسي . أَن تفرض القوانين، وأَن تُغيِّرَ قلوبَ المواطنين بالإكراه، والتَّعذيب والإعدام، أَو أَنَّها في حالة [طوباوية] **أَفلاطون** . Plato، تضع المواطنين في رابطةٍ أَبديَّة مع طبقة الحكَّام، والَّذِين يضعهم موقفهم الطَّبيعي، وفهمهم للفلسفة في موقعٍ فوق النَّاس»[٣٢]. وخرج **روبرت سولومون** . R. Solomon عن طوره فهزأ بالفلاسفة ونعتهم بالعته، «ف **فولتير** . Voltaire لم يشكَّ قطُّ بعقلانيَّته، ولكنَّه كان يشعر في معظم مراحل حياته بأَنَّ الآخرين لا يأخذونه على محمل الجدِّ، وكأَنَّه مجرَّدُ مهرِّجٍ برجوازيٍّ في مجتمعٍ أرستقراطيٍّ؛ مهرجٍ فطنٍ ومضحكٍ.

ولم يشكِّك **روسُّو** . Rousseau مرَّةً واحدةً بكماله الدَّاخليِّ الشَّخصيِّ حتَّى عندما كان يلوم المجتمع بأَكمله لإفساده له وتحويله إلى شخصٍ كذَّابٍ وخليع. أَمَّا **إيمانويل كانت** . E. Kant الَّذِي كان يجلسُ في شقَّته متشنِّجاً وعازباً في شرق بروسيا النَّائية فقد عوَّض عن عزلته تلك بسخريته من الكون كلِّه في دراساته النَّقديَّة الفلسفيَّة. وإذا كان **هيجل** . Hegel قد تماثل مع المطلق وامتصَّ التَّاريخ كلَّه في فكرةٍ واحدةٍ فيجب أَن ننظر إلى تكبُّره من خلال عقم فيلسوفٍ أَلمانيٍّ مجرَّدٍ من السِّلاح وواقعٍ وسط الحروب النَّابليونيَّة في وقتٍ لم يكن لأَلمانيا . بما في ذلك بروسيا العظيمة . أَيَّ تأثيرٍ فعَّال»[٣٣].

---

[٣٢] . بات روبرتسون: **النِّظام اليهودي العالمي الجديد** . ضمن مجلة: القاهرة . العدد ١٦١ . ص ١٣٣.

[33] - Robert Solomon**: The Bully Culture; Enlightenment, Romanticism, and the Transcendental Pretense 175-185.** P.18,19**.**

أَمَّا **أُومبرتو إكُّو** . Umberto Eco فقد نَسَفَ قُدسيَّةَ كلِّ النُّصوص، وخصَّ منها ما يدَّعي أَنَّه يؤَكِّدُ شيئاً، أَيَّ شيء، فقال: «أَيُّ نصٍّ يدَّعي تأكيد شيءٍ واضحِ المعنى، هو كونٌ محبطٌ، بمعنى عمل نصف إله مشوَّشِ التَّفكير: الَّذِي يحاول أَن يقول هذا هو هذا، وعلى النَّقيض من ذلك فقد أَثار سلسلةً متَّصلةً من التَّأجيل اللاَّنهائيِّ؛ حيث هذا ليس هذا»[٣٤].

* * *

[٣٤] . أُومبرتو إكُّو: **العودة إلى الجذور المهجورة؛ التَّأويل والتَّاريخ** . ترجمة: ناصر الحلواني . ضمن مجلة: القاهرة . العدد ١٦١ . ص ٣٠.

الفصل الثالث

الفلسفة
تـدور
فـي الفراغ

ما من فكرة سدًى بكلِّ معنى الكلـمة، إلا وجدت فيلسـوفاً يعتنقها.

شيشرون

في حين يرى **كارل ماركس** ـ K. Marx أَنَّ « الإنسانيةَ لا تطرحُ على نفسها أَبداً أَلغازاً لا تستطيعُ حلَّها »[٣٥]، ويعتقدُ **فتجنشتين** ـ Wittgenstein أَنَّه « إذا كان في الإمكان وضع السؤال، فإنَّ معنى هذا أَنَّ في الإمكان أَيضاً الجواب عليه »[٣٦] تذهب **جان هرش** إلى القول: « إنَّه لـمن العسير جدًّا تسويغ وجود الفيلسوف، فيجب أَن نلاحظ، بادئ ذي بدء، أَنَّه لا يطرح إلا مشكلات لا حلَّ لها، (فإذا تمَّ الوصول إلى حلِّها، أَصبحت مشكلة علـمية) فما جدوى هذا ؟ أَفلا تدلُّ الكلـمة الـمتعجرفة (الفلسفة الدَّائمة) بالضبط على عدم قابلية مشكلاتها للحل، وهي الـمشكلات الَّتي لا تنفكُّ تطرح نفسها، لأَنَّها، بالتَّدقيق غير قابلة للحل »[٣٧]. وهذا ما أورث انطباعاً عامًّا مفاده أَنَّ الفلسفة لا تتناول إلا الـمشكلات العقيمة، لتتحوَّل وفق هذا التَّصوُّر إلى ضربٍ من العبث.

[٣٥] . د. عادل العوَّا: **مقدِّمات الفلسفة** ـ ص ٩٣ .

[٣٦] . **تاريخ الفلسفة المعاصرة** ـ م.س ـ ص ٥١٢ .

[٣٧] . د. بديع الكسم: **البرهان في الفلسفة** ـ ص ٩٥ .

ولا عجب إذ ذاكَ من أَن تغدو الفلسفةُ الشَّماعةَ الَّتي تُعلَّقُ عليها المشكلات الَّتي لا حلَّ لها. وآيةُ ذلك أَنَّهم لو استطاعوا برهنة أَيَّ مشكلةٍ إثباتاً أَو نفياً لافتخروا بإنجازهم ونفوا أَيَّ دورٍ للفلسفة في ذلك، لأَنَّ هذه مشكلةٌ علميَّةٌ لها حاضنتها وميدانها. ولذلك كلَّما اصطدمَ علم الوراثة بمشكلةٍ مستعصيةٍ على الحلِّ تنصَّلَ من المسؤوليَّة بقوله: إنَّها مسألةٌ فلسفيَّةٌ قديمةٌ. وكلَّما تعثَّرت الفيزياء الكموميَّة (الكوانتا) ببعضِ المعضلات لاذت بالفلسفة: عصا **موسى** السِّحريَّة الَّتي تخرجها من ورطتها بأَنَّ هذه المشكلة تتبع الاهتمام الفلسفي. وقصَّةُ الانفجار الكونيِّ الكبير وَعَوْدُ الانفجار محضُ افتراضاتٍ، «ولكنَّها، كما يقولون، مبنيَّةٌ على معطياتٍ فيزيائيَّة، ونتائج الرَّصد الفلكيِّة، ولكنَّ عجزهم عن البرهنة قادهم إلى القول بأَنَّ هذه مشكلةٌ فلسفيَّةٌ»[٣٨]. وهكذا يكون ردُّ فعل علماء النَّفس وعلماء الاجتماع عند الوقوف أَمام أَصل الطَّبيعة البشريَّة مثلاً. وهلمَّ جرًّا ممَّا يحتويه كلُّ علمٍ وميدانٍ من معضلاتٍ جامحةٍ أَمام الحلول.

وبهذا المعنى وجد **كارل يسبرز** ـ K. Jaspers « أَنَّ فريقاً من النَّاس ينتظر من الفلسفة أَن تأتي بكشوف خارقة، بينما يوجد فريق آخر يتغاضى عنها، ولا يكترث بها، الأَوَّل يجلُّ الفلسفة ويحترم الجهد الفلسفي المثقل بالمعاني، الَّذِي يبذله أُناسٌ متميِّزون، والآخر يحقر الفلسفة [ويعدها] تأمُّلات حالمين، وبهذا الاعتبار تبدو الفلسفة تارة على أَنَّها لا

[٣٨] ـ محمد فيض الحامدي: **كيف حدث التَّطوُّر** ـ ضمن مجلة: المعرفة ـ العدد ٣٧٢ ـ أَيلول ١٩٩٤م ـ ص ٦٦.

غنى عنها لكلِّ إنسان، وتارة أُخرى على أَنَّها أَمرٌ عسيرٌ شاق، ودراستها محاولة بائسة، وعبءٌ ضال »[٣٩]. الأَمر الَّذِي حَفَزَ المفكِّر الفرنسيَّ المعاصر **ميشيل سير** . Michel Serres على القول بأَنَّ «للفلسفةِ طريقتين هما؛ طريقةُ الغِفْرِ أَو الخنزير البريِّ، وطريقة الثَّعلب. حيثُ يحفرُ الأَوَّلُ الحفرةَ ذاتها بلا نهاية، ويتطفَّلُ الثَّاني فيمرُّ بكلِّ مكان»[٤٠].

ولذلك نجدنا قليلي التَّردُّد في إقرار **هيجل** . Hegel فيما ذَهَبَ إليه عندما ميَّز بين «الفلسفة من جهة والعلوم كلِّها من جهةٍ أُخرى. حيث تتمثَّلُ العلوم موضوعاتها المقابلة للذَّات و المغايرة لها، وهي محتواها. أَمَّا الفلسفة فَتَخلقُ محتواها من عَدَم.

حين تتمثَّلُ العلوم محتواها تحايث الفلسفة نفسها في إطار تحديداتها، ومن ثمَّ تُقيِّدُ الفلسفة الحقيقيَّةُ تحديداتها بقيودِ الضَّرورةِ الدَّاخليَّةِ لخطاب الفكر التَّصوُّريِّ وليس بقوانين الموضوع الخارجيِّ، وهكذا لا تفترضُ الفلسفةُ . على عكس العلوم . سلفاً موضوعاتٍ قائمةٍ ومسلَّمٍ بها قبليَّاً»[٤١].

فهل نعتب على **شِيشرون** . Cicero إذا تنطَّع فقال: « ما من فكرة سدًى بكلِّ معنى الكلمة، إلا وجدت فيلسوفاً يعتنقها »[٤٢] وكيف سنفهم

---

[39] - Karl Jaspers **: Introduction à la Philosophie.** Trad ; J. Hersch. Paris. 1953. chap.1**.**

[٤٠] . كمال فوزي الشَّرابي: **نافذة على العالم** . ضمن مجلة: المعرفة . العدد ٣٧٢ . أيلول ١٩٩٤م . ص ٢٤٦.

[٤١] . وائل غالي: **ذروة الفلسفة في عصر الهاوية** . ص ١٢.

[٤٢] . د. عادل العوا: **مقدِّمات الفلسفة** . ص ٦ .

قول كلٌّ من **بول جانيه .** Paul Janet و**جبريل سياي .** G. Séailles: « إنَّ الفلسفة تدلُّ على كلِّ فضول، وكلِّ ثقافةٍ فكرية، وكلِّ جهدٍ عقليٍّ يرمي إلى مزيدٍ من كسب المعارف »[٤٣]؟ أَهو مدحٌ، أَم ذمٌّ، أَم هما معاً بتداخلاتهما البلاغيَّة؟

وتكتمل مشكلة الفلسفة وتتكامل بلغتها الَّتي لا ترضي أَحداً غير أَبنائها. ونحنُ، وإن كنَّا لا نقبل تعميم هذه الفكرة، ولا نقبلها على عواهنها، فإنَّنا غير مخوَّلين بتجاوز الاعتراضات، ولا بإسقاط حقوق أَصحابها، مع تأكيد مصداقيَّة بعضها وجدارته.

يصفُ شيخُ الإسلامِ **ابنُ تيميَّة** . ٦٦١ . ٧٢٨ هـ كلامَ **أَرسطو** . Aristotle ؛ المعلمِ الأوَّل بأَنَّه « لحمُ جَمَلٍ غَثٌّ على رأسِ جَبَلٍ وَعْرٍ، لا سَهْلٌ فَيُرتَقَى، ولا سَمِينٌ فَيُقلَى »[٤٤] ويخبرنا **برهيه** . Brehier عمَّا وصلتْ إليه سمعةُ الفلسفة بسبب لغتها فيقول: « إنَّ الفلسفة لا تحظى بالسمعة الطيبة في كلِّ مكان، فيقال عنها إنَّها غامضة بسبب لغتها المغلقة، وعبارتها الموروثة عن فلسفة العصر الوسيط »[٤٥]. ويحدِّثنا أُستاذنا **الدُّكتور عادل العوَّا** عن أَحدِ مفكِّرينا وقد كان يُفاخر في لقاءٍ صحفيٍّ بأَنَّ «موضوعَ محاضرته كان مأنوساً من النَّاس غير غريبٍ عنهم، **لخلُوِّه من نظريَّاتٍ جافَّةٍ**

---

43 - Paul Janet & Gabriel Séailles**: Histoire de la Philosophie .** Paris . 1938. p.1 **.**

٤٤ . *ابن تيمية* : **رسالة معراج الوصول ؛ ضمن مجموعة الرسائل الكبرى** . ص ١٨٣ .

45 - Brehier . E **: Les Thémes Actnels de la Philosophie .** p.1 **.**

ممَّا تحتويه كُتُبُ الفلسفة وعلم النَّفس، ولذا كان الموضوع موجباً لقناعاتهم ...»[٤٦].

ولعلَّ هذا ما ذهب إليه الشاعر المتفلسف **بول فاليري** . P. Valéry إذ قال: « إنَّ الفلسفة لا وجود لها، لأَنَّ الَّذِي يوجد إنَّما هو تنويع معاني الكلم . وبهذا الحسبان يتابع معلقاً بنوع من السخرية . إنَّ مهنة الفيلسوف تتميز أَفضل ما تتميز بعدم الفهم »[٤٧].

إن كان بالإمكان حمل بعض هذه التعليقات على أَنَّها مداعبات مازحٍ مُحِبٍّ، أَو محمل ردود الأفعال غير الناضجة، فإنَّ فريقاً من الفلاسفة أَنفسهم حملوا معاول الهدم وأَوسعوا الفلسفة ضرباً، مدَّعين أَنَّهم يشيدون بذلك صرح الفلسفة الحقيقي؛ هؤلاء هم أَرباب الوضعية المنطقية، الَّذِين تجرأوا على القول بجدِّيةٍ صارمة « **إِنَّ تاريخ الفلسفة ينحلُّ على ضوء المعرفة الوضعية إلى فهرس آراء سدًى يهزؤ بعضها ببعض، وهي كلُّها آراء عابثة لا تصحُّ إلا لخداع المؤمنين بها وحسب، فالفلسفة لا تنجب أيَّة حقيقة علمية، وهي تكتفي بالألفاظ ولا تخرج في جوهرها عن مرض لغوي شديد** »[٤٨] ولتغدو وفق وجهات رؤاهم « كلُّ مهمَّة

---

[٤٦] . د. عادل العوا: **لتسقط الفلسفة** . ضمن جريدة؛ بردى . دمشق . السَّنة الأُولى . العدد ١٣٥ . ١٩٤٦/٧/٤م.

[٤٧] . *د. عادل العوا* : **مقدمات الفلسفة** . ص ٥ .

[٤٨] . م.س . ص ١٩٨ .

للفلسفة هي . في خاتمة المطاف . القضاء على الفلسفة، أَو هي على الأقلِّ . التخلِّي عن كلِّ فلسفة »[٤٩].

نعم، نحن نتَّفقُ مع **فرديناند أَلكييه** . F.Alquié في أَنَّ « كلَّ مقطع فلسفي ليس له معنى إلا بالإضافة إلى المجموع المنطقي، الَّذِي يؤلف جزءاً منه، ولا يمكن بالتالي أَن يُفهم إلا على مستوى المذهب الَّذِي أَسهم فيه »[٥٠] ولا نختلف مع **مارسيل جيرو** في أَنَّ « كلَّ فلسفة تنطوي على (مقالة في الطريقة) خاصَّة بها، على نحو مضمر أَو صريح »[٥١]. ولكنَّنا لا نستطيعُ إغفالَ أَنَّه لا يخلو كلام كثيرٍ من الفلاسفة من تعابير غامضة أَو مشوَّشة أَو ضبابية، أَو لنقل: غير مفهومة، فَلُغَةُ **هيجل** . Hegel الصعبة تشكِّكنا بقدرتنا على الفهم في بعضَ الأحيان. وسُمِّي **سبينوزا** . Spinoza بفيلسوف الفيلسوف لشدَّة صعوبة لغته. ومعظم كتابات **لودفيج فتجنشتين** . Wittgenstein . الَّذِي لم يخلُ تفكيره من بعض مظاهر الشذوذ . ما هي إلا خطوات غير مترابطة. و**جبريل مارسيل** . G. Marcel يصدمنا بتخلخل تحليله وترهُّل تفكيره. وكثيراً ما نضطر للتأفُّف من غموض **مارتن هيدجر** . M. Heidegger وللتذمر من جفاف لغته وضراوة اصطلاحاته حتَّى وُصِفت مؤلَّفاته بأَنَّها تتميَّز أَكثر ما تتميَّز بانعدام المنطق. وقد نضطر للابتسام، وربَّما الضحك من الدعاوى الفجَّة الَّتي يطرحها **جان بول سارتر** . J.P.Sartre، وربَّما يصيبنا الغثيان من عبثيته.

---

[٤٩] . **تاريخ الفلسفة المعاصرة** . ص ٥١٣ .

[٥٠] . ف. *ألكييه* : **ما معنى أَن نفهم فيلسوفاً ؟** . ص ١٤ ؛ نقلاً عن : **البرهان في الفلسفة** . ص٣٧.

[٥١] . مارسيل جيرو : م.س . ذاته .

ولعلَّ هذا ما أَثار **جورج سانتيانا** . G.Santayana ودفعه إلى إعلان أَنَّه من حقِّ الفيلسوف أَن يعرض مذهبه دون أَن يناقش مذهب أَيِّ فيلسوف ... . ولكن . كلُّ ما يقتضيه منه لزوم البرهان هو أَلاَّ يقول أَقوالاً غريبة عجيبة، وأَلاَّ يهزأ بعقول قرَّائه، وأَن يظلَّ ضمن حدود رؤيته »[٥٢] .

* * *

[٥٢] . م.س . ص ٦٥ . ٦٦ .

* * *

الفصل الرَّابع

ماذا بقي من الفلسفة ؟

الفلسفة، [بوصفها عقيدةً]، لا معنى لها؛ فَجَمِيعُ حلولها التَّقليديَّة، ومشكلاتها ذاتها، إنَّما تعود إلى سوء استعمال اللُّغة فحسب.

لودفيج فتجنشتين

لعلَّه من الطَّريف، إن لم يكن من الطبيعي . كما يقول أُستاذنا **عادل العوا** .: « أَن يستأسد العلم ويستنسر من بعد ضعفٍ وهوانٍ، فينادي بالقدرة على حلِّ المشكلات الإنسانية كافَّة، والمشكلات الأخلاقية والسياسية والاقتصادية والطَّبقية وما إلى ذلك، وكأنَّه يودُّ الاضطلاع بأعباء الفلسفة؛ جميع الأَعباء »[٥٢] والَّذِين حذو هذا الحذو، معتقدين بصحته قانعين به، غير قلَّة، ومنهم **كارل ماركس** . K.Marx و**مارسلان برتلو** . M. Berthelot و**أُوجست كونت** . A. Comte و**جان لورند دالمبير** . D'Alembert و **إرنست رينان** . E. Renan و**أَلبير بايه** . A. Bayt و**شارل رينوفييه** . Renouvier و**ميشيل سير** . Michel Serres و**إي. أو. ولسون** . I.O.Welson وغيرهم ممن أَحاطوا العلم بهالة من القداسة.

[٥٢] . د. عادل العوا: **مقدمات الفلسفة . ص** ٣٩ .

لقد أَعلن **سورين كيركيجارد** . Kierkegaard بقوَّةٍ صرخته المدوِّية: «دائماً أَقولُ: إنَّ السُّلطةَ كلُّها للعلوم»[٥٣]، وكان شديد حُسن الظَّنِّ فأَعفى هذه السُّلطة من النَّقد. منطلقاً وغيره من النَّاحين هذا المنحى، باعتقاد **روبرت سولومون** . R.Solomon، من أَنَّ «الادِّعاءات العامَّة القائلة بموضوعيَّة العلم وبُعدِه عن الأَهواء، وتحرُّره من السُّلطة السَّائدة، وأَنَّه كونيٌّ بشكلٍ منهجيٍّ ومنظَّمٍ، وحتميُّ النَّجاح، لم تكن خاضعة للمناقشة»[٥٤]. فيما لم تزل الفلسفة باعتقاد **تيودور جوفروا** . Joufroy «علماً لم يحدَّد هدفه بعد»[٥٥].

وسار كثيرون مع هذا الاتجاه إلى الاعتقاد بأَنَّ الفلسفة قد وصلت إلى طريقٍ مسدودٍ حتَّى « بدت . وكأَنَّها . قد أَساءت الاختيار، وأَنَّ الفيلسوف لا بدَّ وأَن يشعر بعقدة الصغار لأَنَّه فيلسوف، وأَنَّ سبيله الوحيدة هي الاعترافُ بأَنَّ مجالَ العلمِ مجال معرفةٍ متميزةٍ، وأَنَّ العلم يحظى باليقين الأَكبر، وأَنَّ خير كفيل لسلامة الفلسفة هو في انطلاقة الفيلسوف من العلم، أَيِّ علم »[٥٦].

ولقد كتب **برتراند رسل** . Russell « ثمَّة أُناسٌ كثيرون يميلون بتأثير العلم إلى الشَّكِّ فيما إذا كان في الفلسفة شيءٌ يزيد عن كونها تحديدات

---

[٥٣] - Robert Solomon**: The Bully Culture; Enlightenment, Romanticism, and the Transcendental Pretense 175-185.** P.14**.**

[54] - Robert Solomon**: Ibid.** P.13**.**

[55] - Joufroy . Th **: Nouveaux Mélange .** p . 103 **.**

[٥٦] . د. عادل العوا: **مقدمات الفلسفة** . ص ٢٠٠ .

بريئة، ولكنَّها تافهة، عديمة الجدوى، بالغة الدِّقة، وعن كونها معارضات في أَشياء تتعذَّرُ معرفتها »[٥٧] « وعلى هذا ـ ذهب بعضهم إلى أَنَّ ـ الفلسفة لا تتقدَّم حقَّاً، بل تضطرب مكانها، وتختلف إلى ذاتها، وتراوح، إنَّها أَشبه شيءٍ باختلاط متحرِّك، بل هي جثثٌ ورسوم تخلِّفها المعرفة الَّتي تستقلُّ عن دوحة الفلسفة، وتتمايز حين تصبح علماً وضعيَّاً بالمعنى الصحيح، وبذا يبين أَنَّ الفلسفة تقتات بالفتات، وتحيا على البقايا، وتُعنى بالوشم على المعصم، ولا تطال إلا المواضيع الَّتي لم يشأ العلم، أَو لم ينجح بعد، في تناولها على النحو العلمي الدقيق، إنَّ الفلسفة تخسر كلما عاشت، وتنقص على الدوام باستمرار، ويزيد فقرها طرداً، لأَنَّها كالمجرَّة الَّتي تنبثق عنها الكواكب والسَّيارات، وهذا يعني أَنَّ معين الفلسفة ينضب شيئاً فشيئاً كلما انحسر التطوُّر عن بؤرة جديدة تتحوَّل عن دروب الفلسفة، وتنقلب بوثبةٍ حيَّةٍ إلى علمٍ وليدٍ طريفٍ »[٥٨].

وإذا كان انشعابُ العلوم الطَّبيعيَّة واستقلالها لم يؤثِّر في الفلسفة، نوعاً ما، فإنَّ الاتِّجاه الضِّمنيَّ السَّائد الآن لدى جلِّ المفكِّرين هو أَنَّ العلوم الاجتماعيَّة هي الَّتي أَخذت دور الفلسفة وحلَّت محلَّها، لتتلاشى الأَخيرةُ وتذوب في هذه العلوم. والحقُّ أَنَّ المشكلة أَكبر من ذلك وأَعمق بكثير:

بَعْدَمَا فَرَغَ **لُوْدْفِيج فِتْجِنِشْتَين** Ludwig Wittgenstein. مِن تَحْلِيلِهِ المنطِقِيِّ للغة أَلقى قُنْبُلَتَهُ المدوِّية الَّتي نَثَرَت غُبَارَهَا الثَّقيل على الفلسفة، فقد

[٥٧] . *برتراند رسل*: **مشاكل الفلسفة**؛ ترجمة: محمد عماد الدين إسماعيل وعطية هنا ـ القاهرة ـ ص ٣٥.

[٥٨] . د. عادل العوا: **مقدمات الفلسفة** ـ ص ٣٥ .

ذَهَبَ إلى أَنَّ «الفلسفة، [بوصفها عقيدةً]، لا معنى لها؛ فَجَمِيعُ حلولها التَّقليديَّة، ومشكلاتها ذاتها، إنَّما تعود إلى سوء استعمال اللُّغة فحسب، **والمهمَّة الوحيدة الَّتي تبقى في هذه الظُّروف للفلسفة هي أَن تتمسَّكَ بفضح هذه المشكلات والحلول المزيَّفة، وتُصرُّ عليه**»[٥٩]. ولذلك عليها أَن «**تكتفي بتحليل ما في اللُّغة من دلالات خاصَّة**»[٦٠]. لتغدو بهذا المعنى علماً للغة لا غير أَبداً. وعلى هذا الأَساس يجب «أَن ترفضَ المطالبة بمجالها المستقلِّ، لكي تتحوَّل إلى نقدٍ للاستعمالات اللِّسانيَّة»[٦١].

وسار معه بالأُسلوب ذاته **أَلفرد نورث وايتهد** . A.N.whitehead و**رودلف كارناب** . Rudolf Carnap و**أَلفرد آير** . Alfred, J.Ayer، مُضَيِّقين الخناق على عنق الفلسفة الَّتي غَدَا لِزَامَاً عليها، مع جهود هؤلاء الوضعيين المناطقة واجتهاداتهم، أَن تخلعَ كلَّ أَثوابها إمَّا لتذوي في ثنايا معطف اللُّغة أَو لتُسحَقَ تحت عجلات العلم، وفي كلا الخِيَارين سيرٌ إلى حتف. ولعلَّه من الباب ذاته كانت الحدِّيَّة والصَّرامة في إعلان **جاك . توسان ديزانتي** . Jacques, T.Desanti أَنَّ «**الفلسفة غير قابلةٍ للعثور عليها. أَمَّا فيما يتعلَّقُ بالتَّفلسف فإنَّ ذلكَ خاضعٌ للتَّجريب**»[٦٢].

---

[٥٩] . كمال فوزي الشَّرابي: **نافذة على العالم** . ضمن مجلة: المعرفة . العدد ٣٨٠ . أَيَّار ١٩٩٥م . ص٢٢١.

[٦٠] . كمال فوزي الشَّرابي: **م.س** . ص٢٢٢.

[٦١] . كمال فوزي الشَّرابي: **نافذة على العالم** . م.س . ص٢٢٤.

[٦٢] . كمال فوزي الشَّرابي: **نافذة على العالم** . ضمن مجلة: المعرفة . العدد ٣٨١ . حزيران ١٩٩٥م . ص٢٢٧.

ولقد لاقى هذا الاتِّجاه صداه مباشرةً، وعلى الصَّعيدين؛ صعيد أَلْسَنَةِ الفَلْسَفَةِ وصعيد عَلمَنَتِها. ولكن بصورةٍ لم تكن لتخطر ببالٍ، ولا تسرُّ خاطر الفلاسفة إن عادوا إلى الحياة، لأَنَّ وجود فلاسفةٍ أَحياءَ أَمرٌ مشكوكٌ فيه، أَو أَنَّه بحاجةٍ إلى برهانٍ على أَقلِّ تقدير. **فكيف كان هذا الصَّدى؟**

بجرَّةِ قلمٍ وابتسامةٍ خجلى ضُمَّت البنيويةُ إلى الفلسفة لتعامل بوصفها اتِّجاهاً فلسفيًّا، ولكنَّها قبل ذلك لم تكن لتعترف إلاَّ بأَنَّ الفلسفة جزءٌ منها، وأَنَّها جاءت لتحلَّ محلَّها وتضطلع بدورها وأَدوار أُخرى أَولدها سياق العصر، حتَّى «بدت منذ عَقد السِّتينات من هذا القرن وكأَنَّها المنهج الَّذِي لا يقبل النَّقد، بل وكأَنَّها منطق الواقع نفسه، وأَصبح من البديهيِّ وصفُ (علم الإناسة ـ Anthropogy) بأَنَّها بنيويَّة، وأَصبحت عبارة (علم اللِّسانيَّات البنيوي) تحصيل حاصل، كما أَصبح من الصَّعب على العقل أَن يُنَاقِضَ أَو أَن يَنْقُدَ هذه السِّيادة البنيويَّة»[٦٣].

ولكنَّ الأَمر لم يتوقَّف عند البنيويَّة وحدها، إذ لم يولد ميدانٌ جديدٌ في المرحلة الرَّاهنة ولم يتجرَّأ على الفلسفة ويمدُّ أَيدي هيمنته لتطال المباحث كلَّها ويدَّعي أَنَّه السَّيدُ الجديد؛ لقد حاولت السِّبرانيَّة أَن تجمع تحت قُبَّعتها كل العلوم كما كانت الفلسفة فاعلةً منذ ردحٍ من الزَّمن. وكذلك تماماً شأن المعلوماتيَّة. ولما أُعلن موت البنيويَّة ارتفع صوت التَّفكيكيَّة منادية بأخذها مكانها ودورها. وتحاول التَّوليديَّةُ الآن بسط يد سلطانها على كلِّ ما سبقها من الميادين والعلوم. وفي الإطار ذاته نتساءل: أَليست الدِّراسات المستقبليَّة

[٦٣] . وائل غالي: **ذروة الفلسفة في عصر الهاوية** . ص ١٩.

ضربا من ردَّة الفعل على الفلسفة ومشكلاتها التَّقليديَّة الَّتي لا تتجدَّد ولا تُحَلُّ، لتغدو محاولات **بيتر.ف. دراكر** . P.F.Draker في معالم الغد الجديد، و**ميهاجلو ميزاروفيك** . Mihajlo Mesarovic و**إدوارد بيسيتل** . Eduard Pestel في استراتيجيا للغد، و**بول كيندي** في استعداده للقرن الحادي والعشرين، و**إدجار موران** . Edgar Morin في مقدِّماته للخروج من القرن العشرين، و**ألفين توفلر** . Alvin Toffler في مشروعه المستقبليِّ الكبير الَّذِي تجلَّى خصوصاً في صدمة المستقبل وخرائط المستقبل. و**إدوارد كورنيش** . Edward Cornish في المستقبليَّة .... سعياً لكسر طوق التَّقاليد الفلسفيَّة الرَّاسخة في معالجة مشكلاتها الأَزليَّة المستعصية على الحلول، ولتخرج بالتَّالي من الماضي إلى الحاضر؛ من وثوقيَّة الفلاسفة إلى وثوقيَّة المتنبِّئين.

ولكنَّ العلوم الإنسانيَّة تظلُّ دائماً مهيضة الجناح لدى وقوفها على بساط جلالة العلوم الطَّبيعيَّة؛ هذه العلوم الَّتي تحاول الآن الإجهاز على الفلسفة بضربتها القاضية؛ ذلك أَنَّ هذه العلوم الموسومة بالقاسية أَو الصُّلبة، تمدُّ لسانها طويلاً ليُضافرَ أَيديها في الهيمنة على المشكلات الَّتي كانت محض فلسفيَّة، ولم يكن ليشكَّ أَحدٌ في إمكان انسلاخ هذه المشكلات عن جسد الفلسفة.

نعم، إنَّ العلوم القاسية تدَّعي الآن أَنَّها قادرةٌ على حلِّ مشكلات العالم بما فيها المشكلات الَّتي تفخر الفلسفة بأَنَّها مستعصيةٌ على غيرها، أَو بتعبيرٌ فيه كثير من التَّهذيب: المشكلات الَّتي تخشى العلوم الأُخرى ضمَّها إلى ميادينها، لأَنَّها لا ميدان لها إلاَّ الفلسفة. ولكن هيهات، أَين من يسمع.

لقد انقلبت الموازين وتغيَّرت المعايير، ولم يعدْ من الغريب ولا المستهجن أَن يحاول **وليام سكوف**، و**جيرالد جويس**، و**جيه مادلين ناش**، و**ستانلي ميللر**، و**إيفويت شوك**، و**هارولد مورفيتش**، و**جونتر فاكترز هاوسر** وغيرهم من أَرباب علمي الأَحياء . Biology وطبقات الأَرض . Geology بدقائق تخصُّصاتهما سلب الفلسفة إحدى أَهمِّ مشكلاتها الَّتي ظلَّت ردحاً طويلاً من الزَّمن حِكراً على التَّأملات الفلسفيَّة؛ أَلا وهي أَصل الحياة، ومن ثمَّ مسألة النَّفس والرُّوح؛ هذه المشكلة الَّتي ستأخذ بعداً علميًّا محضاً لا علاقة للفلسفة به أَبداً إذا ما تمكَّن هؤلاء العلماء الوثوقيُّون اللاَّهثون وراء هذه الأَفكار من إثبات افتراضاتهم.

وهذا «عالم الأَحياء الأَمريكي **إي.أَو.ولسون** . I.O.Welson ينشرُ كتاباً مهمَّته الكشف عن أَعماق الطَّبيعة البشريَّة، ويعبِّرُ في هذا الكتاب عن احتقاره للعلوم الاجتماعيَّة، وفي رأَيه أَنَّ علم الأَحياء وحده كفءٌ ليبيِّن للبشريَّة الطَّريق الَّذِي يجب أَن تسير فيه»[٦٤]. وإذا فكَّر أَحدٌ بالانتصاف للعلوم الاجتماعيَّة فإنَّ **ولسون** . Welson لايحرمها حقَّ العيش، إنَّه يؤكِّدُ «أَنَّ لعلم النَّفس وعلم الاجتماع والاقتصاد والتَّاريخ الحقَّ في العيش، **ولكن شريطة أَن تتبعَ هذه العلومُ علمَ الأَحياء الَّذِي أَصبح من الآن فصاعداً الدَّليل الحقيقي للمجتمعات البشريَّة**»[٦٥]. ويُعقِّبُ **بيير توياليه** . Thuillier قائلاً: إنَّ المسألة بالمعنى الدَّقيق «ليست مسألة مشاركة وتعاون، ولكنَّها

[٦٤] .كمال فوزي الشَّرابي: **نافذة على العالم** . ضمن مجلة: المعرفة . العدد ٣٦٩ . ص ٢٢٦.٢٢٧.

[٦٥] .كمال فوزي الشَّرابي . **م.س** . ص ٢٢٧.

وضع اليد على جميع المجالات الَّتي كان يهتمُّ بها في الماضي ممثِّلو الدِّين والفلسفة والعلوم الَّتي اشتهرت بأَنَّها (رخوة)، والَّتي يطلقون عليها اسم العلوم الإنسانيَّة»[٦٦] مقابل العلوم القاسية الَّتي هي الفيزياء والكيمياء وعلم الأَحياء.

ويؤازره في الاعتقاد عالم الأَخلاق والعادات **كونراد لورنز**. C.Lorenz ؛ المختصُّ بجزءٍ يعدُّ تقليديًّا جزءًا صميميًّا من الفلسفة هو علم الأَخلاق، فقد دعا في مؤلَّفاته « إلى الأَخذ بأَفكارٍ مماثلة، وإذا ما آمنَّا بأَفكاره فإنَّ التَّعليم العالي لعلم الأَحياء يشكل الأَساس الوحيد الَّذِي تُبنى عليه آراءٌ صحيحةٌ وسليمةٌ [في] الإنسانيَّة وعلاقاتها بالكون»[٦٧].

ويزداد موقف الفلسفة حَرَجَاً وتعقيداً، الآن، مع انقسام أَهل الفكر والرُّؤى إلى فريقين متقاطبين لا يريان للفلسفة مكاناً في السَّاحة المعرفيَّة الرَّاهنة ولا المستقبليَّة؛ الَّذِين آمنوا بالعلم واعتقدوا بصلاحيَّته ومقدرته ومصداقيَّته أَنكروا حقَّ الفلسفة في الوجود ورفضوا أَيَّ دورٍ لها بعد وصول العلم إلى ما وصل إليه. ومن ممثِّلي هذا الاتِّجاه، بالإضافة إلى من سبق ذكرهم، البرفسور **جاك . توسان ديزانتي** . J.T. Desanti الَّذِي يجاهر بتساؤله الكبير والخطير:

«ماذا ننتظر اليوم من الفلسفة؟».

---

[66] - Pierre Thuillier: **La Mecanque Quantique va-t-elle RéenchanterleMonde**. LA RECHERCHE. V 215. 1989

كذلك في: كمال فوزي الشَّرابي . **م.س** . ذاته.

[٦٧] .كمال فوزي الشَّرابي . م.س . ذاته.

ولا يكتفي بتساؤله الَّذِي يتضمَّن إجابته فيه على تعبير **فتجنشتين** . Wittgenstein، بل يهرع . قبل أَن يُفكِّر أَحدٌ في تقديم إجابةٍ مرتجلةٍ . إلى إلقاء قنبلةٍ في حقل أَلغامٍ يستحيلُ جحيماً؛ الموت فيه أَرحم من النَّجاة منه، فيقول: ٤

«إذا ما قارنا مسيرتها بازدهار العلوم القاسية أَو العلوم الرَّخوة، وإذا ما واجهناها بالنَّجاحات المنوَّعة لإجراء التَّقصِّيات في هذه العلوم ومعايير قيمها فإنَّها تبدو وكأنَّها تراوح في مكانها، وبم يستطيعُ الفيلسوف أَن يجيب عالماً بالمنطق، أَو عالماً بالنَّفس، أَو عالماً بالاجتماع، أَو عالماً باللِّسانيَّات، أَو فيزيزلوجيًّا عصابيًّا، حين يهمسُ في أُذنه: ٨

. لم يعد لديك حقلٌ تملكه بأَجمعه، وما تعتقدُ أَنَّك تستطيع قوله، هناك خطابات أُخرى تقوله: غيِّر مهنتك»[٦٨] .

و**ديزانتي** . J.T. Desanti لا يرى وجوداً للفلسفة بمعنى العلم أَو الفكر المنتظم، حتَّى فيما قد سلف، ويضيف ذلك إلى انتزاع العلوم ميادين الفلسفة لتشغلها عوضاً عنها فيبدو له أَنَّ القول بأَنَّ طائفةَ النَّاس المسمَّون فلاسفةً قد تفلسفوا ليس مبالغةً وحسب بل هو تجاوزٌ في الكلام؛ يقول: «إذا سألتَ إنساناً يزعمُ أَنَّه فيلسوفٌ: (ما هي الفلسفة؟)، فإنَّ أَصدق جوابٍ لديه وأَكثره شعوراً بالواقع هو: (ما أُمارسه تحت هذا الاسم. تعال وانظر). وهي طريقةٌ لاتُغني ولا تُسمن من جوع. والواقع أَنَّ ما مارسه **ديكارت** Descartes . تحت اسم الفلسفة لا يتجانسُ مع ما مارسه كلٌّ من **أَفلاطون** . ١٢ ١٦

[٦٨] .كمال فوزي الشَّرابي: **نافذة على العالم** . ضمن مجلة: المعرفة . العدد ٣٨١ . ص ٢٢٧ .

Plato، و**هيجل**. Hegel، و**كيركيجارد**. Kierkegaard، و**نيتشه**. Niietzche، ومع ذلك فنحن نسمِّيهم فلاسفةً، ونُعلن أَنَّهم تفلسفوا. **فإذن هناك تجاوزٌ بالكلام حين نتحدَّثُ اليوم عن الفلسفة [بوصفها علماً] انتُزعَ منه حقله لتشغله علومٌ أُخرى»**[٦٩].

ولذلك لم يجد **بيير توياليه**. Thuillier حَرَجَاً في أَن يحشر الفلاسفة والكهنة في بوتقةٍ واحدةٍ من بوتقات الأَوراق الصَّفراء الشَّاحبة فقال: «إنَّ الكهنة والفلاسفة مقابل إنجازاتهم ليسوا إلاَّ أَطياف ذكرياتٍ شاحبةٍ للماضي»[٧٠]. وذَهَبَ **ميشيل سير**. Michel Serres؛ أُستاذ تاريخ العلوم في جامعة السُّوربون، إلى أَنَّه «لن يكون للفردِ في نهاية هذا القرن، ومطلع القرن المقبل سوى ثقافةٍ علميَّة»[٧١].

أَمَّا الفريق الثَّاني فهو يائسٌ من الفلسفة لأَنَّها لم تعد كما كانت؛ كمَّا وكيفاً وطبيعةً، «لقد اختفى العالم من الفلسفة منذ عام ١٩٠٠م أَو ١٩٢٠م. ويعقِّبُ **ميشيل سير**. Michel Serres بحرقةٍ واضحة: أُريد أَن أُذكِّرَ مُعاصريَّ بأَنَّ العالم هنا، وأَنَّنا نتعرَّض لمخاطر حقيقيَّة حين لا [نعدُّه] على الإطلاق ممثِّلاً حقيقيًّا في مسرحيَّتنا»[٧٢]. ومن ناحيةٍ أُخرى «أَثبت التَّطوُّر العلميُّ عقم العلوم والفلسفات العلميَّة في إيجاد تسويةٍ شاملةٍ بين

---

[٦٩] .كمال فوزي الشَّرابي: م.س. ذاته.

[70] - Pierre Thuillier: **La Mecanque Quantique va-t-elle RéenchanterleMonde**.

كذلك في: كمال فوزي الشَّرابي: **نافذة على العالم**. ضمن مجلة: المعرفة. العدد ٣٦٩. ص ٢٢٩.

[٧١] .كمال فوزي الشَّرابي: **نافذة على العالم**. ضمن مجلة: المعرفة. العدد ٣٧٢. ص ٢٤٥.

[٧٢] .كمال فوزي الشَّرابي: م.س. ص ٢٥٥.

التَّطوُّر العلميِّ التِّقنيِّ وموقع الإنسان من هذا التَّطوُّر، حتَّى بدت الفلسفةُ المعاصرة وكأَنَّها حشرةٌ في خضمِّ المذاهب الفلسفيَّةِ؛ أَمام تاريخ الفلسفة الحديثة من **ديكارت** . Descartes إلى **هيجل** . Hegel»[٧٣].

وبذلك لم تبرأ الفلسفة الآن من وشم العجز والعقم؛ لا من أَنصار العلم ولا من أَعدائه. وانقلب الجميع إلى خصوم عنيدين لها، بل إلى أَعداء حقيقيِّين. لقد غدت الفلسفة مجرَّد تاريخٍ، ماضٍ، أَطياف ذكريات شاحبة. والسُّؤال الأَهمُّ الَّذِي يواجه الفلسفة ويواجهنا:

هل سَيُسْتَغْنَى عن هذا التَّاريخ في المستقبل القريب أَو البعيد؟! ومن ثمَّ:

ما هو مستقبل الفلسفة؟

* * *

[٧٣] . محمد سليمان حسن: **فلسفة ياسبرز** . ضمن مجلة: المعرفة . العدد ٣٧٩ . ص ٤٣ .

* * *

الفصل الخامس

نـهايـة
الفلسفة

ما الَّذِي بقيَ من الفلسفة للفلسفة؟ ما الميدانُ الَّذِي تسعى الفلسـفةُ وحدها في منـاكـبه من دون غيرها؟

٤

إنَّنا، بوصفنا مختصِّين في الفلسفة، نُشبِهُ الأُمَّ الَّتي فَقَدَتْ وحيدَها أَمام عينيها فلم تصدِّق أَنَّه غاب عنها إلى الأَبد، وعَوْضُ لن تصدِّق؛ إنَّنا نعاني الآن من وسواسٍ قهريٍّ، من عُقْدَةِ الفَقْدِ، ولا نريد الاعتراف بفقداننا
٨ وحيدنا الغالي، ولذلك نجدنا نُداعبُ أَطيافَه وكأَنَّه ماثلٌ أَمامَ أَعيننا بشحمه ولحمه، ونصرُّ على الاعتقاد «جازمين أَنَّ الوعي الفكريَّ لا يتمُّ إلاَّ بالفلسفة وعن طريقها»[٧٤]. ولا نقبلُ إلاَّ أَن نعدَّ العلوم غير قادرة على العيشِ بعيداً عن إبط الفلسفة، ولا يُمكنها أَن تسير أَو تواصل سيرها من غير
١٢ «تسويغٍ فلسفيٍّ»[٧٥]. وكلُّ مناهجِ العلمِ[٧٦] ونتائجه[٧٧] من اختصاص الفلسفة .... والَّذِي تجلَّى واضحاً خلاف ذلكَ تماماً، فالعلوم الطَّبيعيَّة، وهذه هي المفارقة الَّتي أَدهشت الفلسفة وأَنصارها، لم تكتفِ بالاستقلال

---

[٧٤] . د. عادل العوَّا: **حول أَزمة الفلسفة** . ضمن جريدة: الصَّرخة . دمشق . السَّنة الأُولى . العدد ٢٦ . في ١٩/٢/١٩٥٢م.

[75] - G. Bachelard**: Le Matxérialism Rationnel .** 1953 . p. 20 .

[٧٦] . د. نايف بلوز: **مناهج البحث في العلوم الطَّبيعيَّة** . ص ٦٨.

[٧٧] . ول ديورانت: **مباهج الفلسفة** . ج١ . ص ٢٢.

عن الفلسفة بل تعدَّت ذلك لتحلَّ محلَّها في معالجة المشكلات الأَثيرةِ على قلبها؛ المشكلات الَّتي تفخر بأَنَّها محض فلسفيَّة، وهي الَّتي ظلَّت بعيدةً عن متناول العلوم الإنسانيَّة الَّتي هيمنت على محاور الفلسفة وميادينها المتبقية كلِّها. وبذلك أَصبحت الفلسفة الآن دالاً من غير مدلول، مفهوماً بدون تضمُّنٍ أَو شمول.

هذه حقيقةٌ مُبهرةٌ بسطوعها وشدَّةِ نصوعها. **فما هو الميدان الَّذِي تبحثُ فيه الفلسفة الآن؟!**

صحيح أنَّ الباحث الأمريكي **جون باترفلاي** الذي بدا أشدَّ أعداء الفلسفة بتعليقاته التي تبدو حاقدةً إلى أبعد الحدود قد مدح الفلسفة مدحاً بالغاً وهو يظن أنَّهُ يوجه لها الطَّعنة القاتلة عندما قال: «إنَّ الدَّور التَّخريبيَّ الأكثر خطورةً للفلسفة ينبع من أنَّها قادرة على التَّسرُّب إِلَى كلِّ الرُّؤوس..»[٧٨]، فقرر من حيث لا يدري سحر الفلسفة وقدرتها على «التَّسرُّب إلى كلِّ الرُّؤوس». إلا أنَّنا مع ذلك سنسمحُ لأَنفسنا بدايةً بإطلاقِ حكمٍ يبدو متسرِّعاً وارتجاليًّا، ولكنَّه، في اعتقادنا، يصيبُ الحقيقة عينها، **وهو أَنَّ الميدان خالٍ من الفلاسفة، الآنَ ومنذُ مدَّةٍ قد تأبى أن تُقْصَر**.

قد يكون أَمراً عاديًّا أَن يخلو ميدانَ الفلسفة من الفلاسفة ردحاً من الزَّمن، ولكنَّ الأَمر الآن مختلفٌ عمَّا سبق؛ إنَّ السَّاحة مفتقرةٌ إلى فلاسفةٍ على غرار الفلاسفة المعروفين؛ وكثيرةٌ هي التَّأكيدات الجازمة بأَنَّ **هيجل**.

---

[٧٨]. نبيه البرجي: **باحث أمريكي يتحدَّث عن دور الفلسفة في تخريب الزمن البشري**. ضمن جريدة **المحرر العربي**. باريس. العدد ٣٧٧. ٢٨ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٢م. ص ٣٧.

Hegel هو آخر الفلاسفة، وكلُّ من بعده لا يعدون كونهم أُدباء ومتحدِّثين في الفلسفة. وذلك لخلوِّ وفاض الفلسفة ذاتها أَوَّلاً، ولضيق مساحات العقول أَمام التَّطورات الهائلة الَّتي وصلت إليها المعرفة البشريَّة؛ إنَّ الآفاق المفتوحة للمعارف العلميَّة، على تنوُّع ضروبها، وضعت غواة التَّفلسف في طرقٍ مسدودةٍ، وأَغلقت الآفاق أَمامهم. ويتجاوز ذلك **دومينيك . أَنطون غريزوني** . D.A.Grisoni إلى القول بانتفاء وجود الكبار في مختلف الميادين. نعم «هناك مكمِّلون مجتهدون، ومنظِّمون دقيقون، واختصاصيُّون أَكفَّاء، ولكن نادرون هم الأَفراد الَّذِين يشبهون أَفراد بداية القرن، أُولئك الَّذِين أَسهموا بقوَّةٍ ونشاطٍ في نشر العلوم الإنسانيَّة واتِّساعها، كالعالم الفرنسيِّ **مارسيل موس** . M.Mauss في علم الاجتماع، والعالم الرُّوسيِّ من أَصلٍ بولونيٍّ **مالينوفسكي** . Malinowski في علم أُصول الأَجناس؛ (علم الإناسة . Anthropology)، والعالم السُّويسريِّ **فرديناد دي سوسير** . F.de Saussure في علم اللِّسانيَّات، الخ، فقد اختفوا من دون أَن يخلِّفوا ورثةً في مستواهم»[٧٩]. وإذا كان الأَمر على هذا النَّحو فإنَّ عدم وجود فلاسفةٍ في مثل هذه الجواء لن يُثيرَ أَيَّ شُبْهَةٍ، ولن يَقودَ إلى أَيِّ تساؤل.

لعلَّ في حكمنا هذا ما يستثيرُ غُبارَ حفيظة الكثير من المتحذلقين الَّذِين يُنعتون بالفلاسفة بمحض التَّجنِّي، ولكنَّنا لن نتوقَّفَ عندهم. ونسألَ أَنفسنا: هل نُسمِّي **جاك دريدا** . J.Derrida و**فرنسيس فوكوياما** و**ميشيل سير** . M. Serres و**روبرت سولومون** . R.Solomon و**أُومبرتو إكُّو**

[٧٩] . كمال فوزي الشَّرابي: **نافذة على العالم** . ضمن مجلة: المعرفة . العدد ٣٧٠ . تموز ١٩٩٤ . ص ١٨٨.

و**دومينيك غريزوني** ـ D.A.Grisoni و**جاك ديزانتي** ـ J. T.Desanti و**كونراد لورنز** ـ C.Lorenz .... فلاسفةً؟!

يطيبُ ذلك لمعظمهم ويسرُّهم، ويأبى بعضهم الآخر ذلك، ولكنَّ الأَمر ليسَ هبةً تُعطى لأَحدهم، ولا ثَوباً يُخلعُ عليه ليغدو بمجرَّد لِبْسِهِ فَيلَسُوفاً. إلاَّ إذا أَردنا تجريد اسم الفيلسوف من خصائصه اللازمة والنُّزول بمفهوم الفلسفة إلى حضيضٍ تأباه وتأنفه. ويكفي أَن نقف عند الخلاف الدَّائر في أَحقِّيَّة **جان بول سارتر** ـ J.P.Sartre بلقب الفيلسوف؛ إنَّه على ما كان عليه ليس إلاَّ أَديباً: أَديباً فقط في عرف كثيرٍ من أَرباب الفكر.

يمكننا الآن أَن نعود إلى تساؤلنا الَّذِي ألححنا عليه غير مرَّةٍ: ما الَّذِي بقيَ للفلسفة؟ ما الميدانُ الَّذِي تسعى الفلسفةُ وحدها في مناكبه من دون غيرها؟

إن كان الجواب بمحض الارتجال فإنَّ في مكنتنا الادِّعاء بأَنَّ الفلسفة تبحثُ في كلِّ شيء، ولكنَّه ادِّعاءٌ فضفاضٌ لا يُرضي أَحداً الآن، فما هو هذا (الكلُّ شيء)؟ إنَّ الَّذِي يبحثُ في كلِّ شيءٍ لا يبحثُ في شيءٍ أَبداً، ولن يصلَ عَوْضُ إلى شيء. ولذلك نُضيِّقُ الحدَّ قليلاً بأن نذهبَ مع **أَنطون مقدسي** الَّذِي أَقرَّ **إدموند هوسرل** ـ E. Husserl و**مارتن هيدجر** ـ M. Heidegger فيما حاولا تكريسه بأَنَّ الفلسفة علمٌ دقيقٌ، فيقول: «الفلسفةُ علمٌ، تلك طريقةُ فَهْمِهَا عند الَّذِين أَسَّسوها، أَقصد **أَفلاطون** ـ Plato، و**أَرسطو** ـ Aristotle، وبقيَّة الفلاسفة ... إلاَّ أَنَّها علمٌ من نوعٍ خاصٍّ، إذ يحشرون الفلاسفة اعتياديًّا مع العلوم الإنسانيَّة، وفي هذا بعضُ

الصِّحَّة؛ إلاَّ أَنَّ الفلسفة تظلُّ في نظر كبار مفكِّريها علماً»[٨٠]. ولكنَّ مفكِّرنا، من غير أَن يُضرب عن عدِّ الفلسفةِ علماً، يقول: «إنَّ كلمة فكرٍ، عندي، لها معنًى يكادُ يكونُ محاذياً لمعنى كلمة فلسفة»[٨١]. ومهما يكن من أَمرٍ فإنَّ المشكلةَ واحدةٌ، وتظلُّ معلَّقةً؛ وحتَّى وإن وافقنا **تيودور جوفروا** Joufroy . على « أَنَّ الفلسفة علمٌ لم يحدِّد هدفه بعد »[٨٢]. فإنَّ لكلِّ علمٍ ميدانه، ولكلِّ فنٍّ ساحته، والفلسفةُ بعدَ انسلاخِ العلوم الطَّبيعيَّة والاجتماعيَّة عنها، وهيمنةِ كليهما على مشكلات الفلسفة، لم يبق لها شيءٌ البتَّة.

قد يستفزُّ ادِّعاؤنا هذا أَنصارَ الفلسفةِ ودارسيها، وأَنا منهم، ويثيرُ احتجاجاتهم فيعترضون علينا بمزاعم مقابلةٍ تتجلَّى في أَقصاها بمحورين رئيسين **أَوَّلهما** أَنَّ في العلوم فجواتٌ لا يمكنُ إثباتها تجريبيًّا، فيكون دور الفلسفة هنا هو ملء هذا الفراغ[٨٣]. وأَنَّ إعداد مناهج العلوم، وإن كان ممكناً بعيداً عن الفلسفة، فإنَّ «تأسيسها وتعليلها التَّامَّين لا غنى لهما عن الفلسفة ... وكلُّ الأَفكار والنَّظرات والأَحكام المتعلِّقة بعلم المناهج Methodology تتَّسمُ بسمةٍ فلسفيَّةٍ»[٨٤]. وهلمَّ جرًّا ممَّا يندرج في هذا الإطار

---

[٨٠] . أَنطون مقدسي: **الفلسفةُ نمط من أَنماط الفكر**: حوارٌ أَجرته معه صحيفة: الثَّورة . عدد ١٩٩٤/٧/٢٣م.

[٨١] . أَنطون مقدسي: **م.س** . ذاته.

[82] - Joufroy . Th **: Nouveaux Mélange .** p . 103 **.**

[٨٣] . ول ديورانت: **مباهج الفلسفة** . ج١ . ص ٢٢.

[٨٤] . د. نايف بلوز: **مناهج البحث في العلوم الطَّبيعيَّة** . ص ٦٨.

الواسع. و**ثانيهما** أَنَّه لم يزل للفلسفة مباحثها الخاصَّة الَّتي لم تستقلَّ عنها، ولن تستقلَّ عنها باعتقاد المتطرِّفين في حبِّ الفلسفة، وهي الميتافيزياء، والمنطق، وعلم الجمال، والأَخلاق، ومشكلة الإنسان ذاتها أَو برمَّتها.

إنَّ ادِّعاءنا، نحنُ المتفلسفين، بالوصاية على العلوم؛ نتاجاً أَو منهاجاً أَو كليهما، أَمرٌ يستحقُّ مراجعة وجهات النَّظر. وعلى الرُّغمِ من أَنَّ فلاسفةً علماءَ معاصرين، أَمثال **برتراند رسل**[٨٥] . B. Russell و**هربرت سبنسر**[٨٦] . H. Spencer و**جاستون باشلار**[٨٧] . G. Bachelard حاولوا تكريس مثل هذه الفكرة، فإنَّها تفتقر إلى كثيرٍ من المصداقيَّة، فما الَّذِي ينتظره العالم من الفيلسوف في تحديد مناهجه أَو تأسيسها أَو تعليلها .... أَلا يخضع ذلك كلُّه لطبيعة المعرفة العلميَّة والمخبر الَّذِي تجري فيه؟! فما هو دور الفيلسوف إذا لم يكن لديه أَدنى معرفة علميَّة في الميدان الَّذِي يطبَّقُ فيه منهجٌ ما؟! ... وحتَّى وإن كان عارفاً فما الَّذِي يستطيعُ فعله في خضمِّ التَّخصُّصات الدَّقيقة الَّتي انشعب إليها العلم؟! أَلا يعني ذلك أَنَّ كلَّ ميدانٍ، على صغره، بحاجةٍ إلى فيلسوفٍ عالمٍ مختصٍّ به، على ما يريد الفلاسفة؟ وإذا كان الأَمر كذلك فهل تكون مهمَّة الفيلسوف هي مهمَّة العالم حتَّى يندمجان معاً، ويصبحُ اختصاصُ الفيلسوف اختصاص العالم وتضيعُ ميادين الفلسفة كلِّها؟! إنَّها مسألةٌ شائكةٌ المنتصرُ فيها هو العلم من غيرما شكٍّ.

---

[٨٥] . برتراند رسل: **مشاكل الفلسفة** . ترجمة: محمد عماد الدين اسماعيل وعطيه هنا . القاهرة.

[٨٦] . ول ديورانت: **مباهج الفلسفة** . ج١ . ص ٢٠. ٢١.

[87] - G. Bachelard**: Le Matxérialism Rationnel .** 1953 .

ومن ثمَّ ما هي الفجوات العلميَّة الَّتي تسدُّها الفلسفة الآن؟! لقد سدَّ الفلاسفةُ فجواتٍ كثيرةٍ من هذا النَّوع، عبر تاريخ الفلسفة، فقادوا عدداً من العلماء إلى شفرات المقاصل وَحِبَال المشانق ... وعطَّلوا مسيرةَ العلم سنين طويلة، من دون نسيان أَثر الرَّاهنيَّة التَّاريخيَّة، ونتساءل الآن مثلاً: ما الَّذِي كان يمكن أَن يحدثَ لو أَنَّ العلماء أَقرُّوا الفجوة الَّتي سدَّها الفيلسوفُ الوضعيُّ **إرنست ماخ** . Ernst Mach «بإنكاره كلَّ شيءٍ لا يصلُ إليه الحسُّ؟!»[٨٨] كالبنية الدَّاخليَّة للمادَّة؟

إنَّ دور الفلسفة في العلم دائماً دورٌ عقائديٌّ . Ideology. ونعلم كم من الحقائق زُوِّرت لتخدم العقائديَّات مثل تزوير **إرنست هيكل** . E. Heackel «في صورة جنين حيوانٍ، حتَّى تبدو قريبة الشَّبه بجنين الإنسان، فيثبت بهذا نظريَّة التَّطوُّر»[٨٩]. وتزييف **سيجموند فرويد** . S. Freud قصصه المرَضِيَّة لإثبات مزاعمه في الدَّوافع[٩٠]. من دون نسيان أَثر الأَفكار المسبَّقة أَو القبليَّة في الفهم المغلوط والمقلوب والنَّاقص. فهل هذا ما نريده من وصاية الفلسفة على العلم؟!

على الرُّغم من الأَزمات الَّتي تعاني منها العلوم كلُّها الآن، والَّتي يرجعها **دومنيك غريزوني** . D.A.Grisoni «إلى غياب الدَّور الفلسفي»[٩١]، فإنَّ

---

[88] - Ernst Mach: **Phyicist and Philosopher**. Dordrecht. 1970.

[٨٩] . د. توفيق الطَّويل: **أُسس الفلسفة** . دار النهضة العربية . القاهرة . ط٦ . ١٩٧٦م . ص ٢٠٧.

[٩٠] . آلين إسترسون: **فرويد المحتال** . ترجمة: مدحت ميخائيل . ضمن مجلة: القاهرة . العدد ١٦١.

[٩١] .كمال فوزي الشَّرابي: **نافذة على العالم** . ضمن مجلة: المعرفة . العدد ٣٧٠ . تموز ١٩٩٤ . ص ١٨٨.

العلماء الآن، وفي المستقبل، على ما نعتقد، يفضِّلون الاسترخاء بعيداً عن وثير أَسرَّة الفلسفة وناعم أَرائكها.

أَمَّا ادِّعاء أَنَّه لم يزل للفلسفة ميادينها الخاصَّة الَّتي تصول وتجول فيها فإنَّه أَمرٌ قد يكون الآنَ بغيرِ حاجةٍ إلى المناقشة والجدل، لأَنَّ عدم مصداقيَّته تجاوز الشَّكَّ إلى اليقين. فحركةُ استقلال العلوم الَّتي بدأت تتوضَّحُ معالمها بشكلٍ جليٍّ منذ القرن التَّاسع عشر، على حدِّ المزاعم التَّأريخيَّة، قد امتدَّت الآن لتفصل «الأَخلاق والجمال، باستخدام منهج البحث التَّجريبيِّ في دراستهما»[٩٢]؛ فعلم الجمال قد قطع أَشواطاً مذهلةً، لا على طريق الاستقلال وحسب، بل في تكريس نفسه كعلمٍ ذي هُويَّةٍ متميِّزةٍ متمايزةٍ، وانشعب إلى عددٍ من الاختصاصات تفوق ما للعلوم السَّابقة من فروعٍ وميادين، وهو الآن لا يقلُّ أَبداً عن علم الاجتماع، ولا عن علم النَّفس، ولا عن غيرهما من العلوم الإنسانيَّة. وكذلك علم الأَخلاق الَّذِي زَرَعَ **ليفي بريل** Lévy Bruhl فكرةَ استقلاله عندما حاول تأسيس علم العادات الأَخلاقيَّة. هذا العلم الَّذِي إن كان من الصَّعب منحه بطاقة استقلاله الشَّخصيَّة، باعتقاد كثيرين، فإنَّه بات أَقرب إلى الاندراج تحت لواء علم النَّفس من باب، ومن بابٍ آخر تحت راية علم الاجتماع ... ولكنَّه بمطلقِ الأَحوال علمٌ مستقلٌّ الآن وله فروعه الخاصَّة، وميادينه، ومناهجه. لترتفع بذلك يدُ الوصاية الفلسفيَّة عنه وعن علم الجمال.

---

[٩٢] . **المعجم الفلسفي** . مجمع اللغة العربيَّة . القاهرة . ١٩٨٣م . ص ١٣٩ .

أَمَّا المنطق الَّذِي تفخر الفلسفة بأَنَّها به تسود العلوم كلَّها فإنَّ مبدأ السِّيادة هذا بحدِّ ذاته أَمسى موضع شكٍّ منذ الضَّربات العنيفة الَّتي وجَّهها له **برتراند رسل** . B. Russell عن غير قصدٍ عندما تبلور، على يديه، تأسيس المنطق الرَّمزيِّ الجديد، وفتح الأَبواب مشرعةً . إلى جانب الرِّياضيين . لتوليد أَنماطٍ منطقيَّةٍ لا نهاية لها عَبْرَ منظومات الأَوَّليَّات الَّتي خرجت بالمنطق والعلم من أُطرهما المألوفة؛ الحسيَّة، والتَّجريديَّة التَّقليديَّة، إلى الفضاءات التَّخيُّليَّة الَّتي فتحت ميادين خصبةٍ جديدةٍ أَمام العلوم.

وتأتي الضَّربة القاسية القاصمة أَخيراً على يدي **أُومبرتو إكُو** . Umberto Eco الَّذِي حطَّم «بنسفه [قانون] تحصيل الحاصل، مجموع الصِّيغ الأَساسيَّة للاستدلال وجوهر التَّعبير الصَّادق منطقيًّا، وذلك لصالح منطقٍ يُغاير المنطق التَّقليديِّ، اليوناني القديم، ويقوم على مفهوم العلاقة المتناقضة والمنقسمة إلى غير نهاية»[٩٣]. وكأَنَّه يتمِّمُ بذلك ما بدأه **شستوف** . Shestov عندما أَكَّد أَنَّ «طريق الفلسفة مسدودٌ، طالما أنَّ المنطق هو الَّذِي يسود»[٩٤]. ليغدو، بذلك، المنطقُ الَّذِي ما زالت الفلسفةُ تعتدُّ به، بحدِّ ذاته، محطَّ تساؤلٍ وريبة. لتأتي أخيراً الضربة الأشد إيلاماً من **جون باترفلاي الذي وضع** بحثاً خاصاً جعل عنوانه «دور الفلسفة في تخريب الزَّمن البشري»[(٩٥)]، ورأى فيه أنَّ «هذا الزَّمن البشري كان من الممكن أن يكون

---

[٩٣] . أُومبرتو إكُو: **العودة إلى الجذور** . ص ٢٤.

[٩٤] . د. بديع الكسم: **البرهان في الفلسفة** . ص ٦٥.

[(٩٥)] . نبيه البرجي: **باحث أمريكي يتحدَّث عن دور الفلسفة في تخريب الزمن البشري** . ضمن جريدة **المحرر العربي** . باريس . العدد ٣٧٧ . ٢٨ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٢م . ص ٣٦.

أكثر إثارة وعبقريَّة لو لم يتم استدراجنا جميعاً إِلَى هذه الفضيحة الَّتي تدعى... الفلسفة»[٩٦].

فهل تعود الفلسفة إلى نقطة انطلاقها، إلى البحث عن العلل الأُولى؛ عن أَصل الحياة، إلى الميتافيزياء؟!

إنَّها إذن ورطةٌ حقيقيَّةٌ!! فعلمُ الأَحياء، كما رأينا، قد تنكَّبَ عدَّته ليضطلع بهذه المهمَّة، ولتتحوَّل الميتافيزياء بإشارةٍ من عصا **موسى** السِّحريَّة إلى فيزياء. إنَّها مفارقةٌ قد يستحيلُ تصديقها، ولكنَّها ماثلةٌ في مسعًى جدِّيٍّ واقعيٍّ يحاولُ جاهداً لاهثاً أَن يثبت جدارته. وسيَّانَ برعَ في برهنة ذلك أَم أخفق فإنَّ للمشكلة وجهاً مقابلاً لا يقلُّ خطورةً عنه، فقد أَنكر **كانت** Kant. «الميتافيزياء كلَّها، ونعتها بأَنَّها إخفاقٌ ذريعٌ لدعوى عريضةٍ متبجِّحَةٍ»[٩٧]. كما «مهَّدت تنظيرات **هيجل** Hegel. الشَّاب الطَّريق أَمام **لودفيج فويرباخ** Ludwig Feuerbach. و**كارل ماركس** K. Marx. (للميتافيزياء) التَّقليديَّة فقالا: إنَّ على الميتافيزياء أَن تزوي لكي تترك مكانها خالياً لحياة الإنسان»[٩٨]. وجاء إتمام إحكام إغلاق الدَّائرة على أَيدي أَرباب التَّحليليَّة والوضعيَّة المنطقيَّة، وخاصَّة **لودفيج فتجنشتين** L. Wittgenstein. و**رودلف كارناب** R. Carnap. و**أَلفرد آيَر** A. Ayer. الَّذِين عدُّوا الميتافيزياء تعبيراً خاوياً لا يجوز عليه الحكم بالصِّدق ولا بالكذب. بل وصل الأمر بالباحث الأمريكي **جون باترفلاي**

---

[٩٦]. م. س. ذاته.

[٩٧]. د. عادل العوَّا: **مقدِّمات الفلسفة**. ص ٣٣٦. ٢٣٧.

[٩٨]. وائل غالي: **ذروة الفلسفة في عصر الهاوية**. ص ١٦.

إلى رفض الفلسفة بصفاقة مزعجة وضرب من التَّمادي لا يطاق ولا يستساغ عندا أعلن «أنَّ المجتمعات الحديثة، الأكثر نضجاً من سابقاتها، تفضِّلُ أن يدفع الفلاسفة بأفكارهم إِلَى الدَّجاج»[٩٩].

وبعد ذلك ماذا بقي من مشكلة الإنسان؟! وما هي مشكلة الإنسان الَّتي ستبحثُها الفلسفةُ الآن؟ هل هي مشكلة الحياة أَم الموت أَم الوجود أَم ماذا، **وكلُّ ذلك خرج من طوق صاحبة الجلالة؛ الفلسفة ؟!!**

لقد أَدرك الوجوديُّون اتِّجاه الفلسفة إلى نهايتها، إلى موتها، ولا سيَّما بعدما «انهارت مجموعة الأَوهام الرَّئيسيَّة الَّتي نشأت في القرن التَّاسع عشر، ودَفَعَت الفلاسفة إلى فَقْدِ الثِّقة في قدرة الفكر على فهم الواقع»[١٠٠]، فجعلتْ الإنسان مشكلتها المحوريَّة، ومن ثمَّ مشكلة الفلسفة الأَساسيَّة. ولكنَّ ضيق صَدْرِ البنيويين لم يُمْهِل هذه الفكرة كثيراً إذ سرعان ما انتفضوا من شبه فراغٍ ليعلنوا موت الإنسان.

وعلى كلِّ حالٍ فإنَّ المعضلةَ ذاتها تظلُّ قائمةً؛ سيَّان أُمِيْتَ الإنسانُ أَم أُلِّهَ لأَنَّ مشكلةَ وجود الإنسان؛ بدايةً ونهايةً وما بينهما، هي أَصل الفلسفة. وما المشكلات الأُخرى إلاَّ تنويعاتٌ على الوتر ذاته، وعلى الرُّغم من قِدَمِها فإنَّها لم تزل مثار نقاشٍ وجدالٍ بين الفلاسفة؛ منذ مطلع التَّفلسف وحتَّى هذه اللَّحظة: لقد ظلَّت المشكلةُ الأَهمُّ متعاليةً على الحل وحُلَّ جُلُّ ما

---

[٩٩] . نبيه البرجي: **باحث أمريكي يتحدَّث عن دور الفلسفة في تخريب الزمن البشري** . ضمن جريدة **المحرر العربي** . باريس . العدد ٣٧٧ . ٢٨ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٢م . ص ٣٧.

[١٠٠] . م . س . ص ١٤.

عداها بدرجات متفاوتة. **لقد فسَّرنا الطَّبيعة وفهمناها وأَخضعناها، وخُضنا لججَ البحار، واقتحمنا مغايب الفضاء، وظلَّ موت الإنسان عصيًّا على الفهم، وتعالى الله على كلِّ برهانٍ قاطعٍ؛ نفياً وإثباتاً، وهل للإنسان أَعظم من هاتين المشكلتين وأَهمُّ وأَخطر؟! لا شكَّ في أَنَّ في ثناياهما تنطوي كلُّ مشكلات الوجود؛ كلُّ المقاييس والمعايير والقيم.**

وعلى الرُّغم من ذلك؛ كلِّ ذلك، وبغضِّ النَّظر عن إمكان الوصول إلى نتائج مقنعة أَم لا، فإنَّ علوماً أُخرى، متعدِّدة، كما أَسلفنا، تسعى في مناكب هذه المشكلات، رائيةً انتهاء دور الفلسفة فيها. وهذا **ميشيل سير** . M. Serres من جهةٍ أُخرى ينفي الزَّعمَ القائل بأَنَّ الفلسفة تُعنى الآن بمشكلةِ الإنسان، فقد أَضاعت «عَلاقَاتِهَا النَّقديَّة بالحَضَارَةِ لأَنَّهَا تَتبَعُ، مُنذُ خَمسِينَ عاماً، تحرُّك الحضارة، ولأَنَّهَا هي ذاتها قد بلغت أَعلى درجةٍ من درجات التِّقنيَّة، ولا تتحدَّثُ عن الصِّلات الإنسانيَّة، وحين تنتقد التِّقنيَّة فَبِحَسب أَساليب متفنِّنة إلى حدٍّ هائلٍ، كما لو أَنَّه لا يوجد شيءٌ حولها»[١٠١].

قد يعترضُ بعضٌ بأَنَّ ذلكَ كلَّهُ لا يعني أَنَّ الفلسفةَ قد انتهت، وآيةُ ذلكَ أَنَّ الفلسفة عَبْرَ تاريخها الطَّويل كانت دائمةَ التَّجدُّدِ والحيويَّة، واتَّسمتْ كلُّ مرحلةٍ من مراحلها بهمٍّ خاصٍّ مرتبطٍ براهنيَّتها التَّاريخيَّة؛ فقد عُنِيَ اليونانُ بمشكلةِ الوجود. واهتمَّ الرُّومانُ بالأَخلاق. وانصرفَ العربُ والمسلمون إلى مشكلةِ الأُلوهيَّة. وأَبرزَ روَّادُ نهضةِ أُوربا أَهمِّيَّة العلم. وعُنيت

[١٠١] .كمال فوزي الشَّرابي: **نافذة على العالم** . ضمن مجلة: المعرفة . العدد ٣٧٢ . ص ٢٥٦.

الفلسفة الحديثة بالميتافيزياءِ؛ إثباتاً وإنكاراً. واتَّخذت الفلسفة المعاصرةُ الإنسان محوراً لها. ولا شكَّ في أَنَّ الفلسفة الآن تبحثُ عن لبوسٍ جديدٍ ترتديه، وعن مشكلةٍ جديدةٍ تدور حولها ....

نحنُ لا نُنكرُ تمحورَ الفلسفةِ في كلِّ مرحلةٍ حولَ بؤرةٍ تنسجُ بناءها عليها، ولا يسوؤنا أَبداً أَن تجد الفلسفةُ محوراً جديداً تلتفُّ عليه. ولكنَّ الواقعَ خلاف ذلك تماماً، لأَنَّ الفلسفة خلال تاريخها كلِّه كانت قائمةً، ومشكلاتها هي ذاتها، وكلُّ ما في الأَمر أَنَّها كانت تغيِّرُ نقطة انطلاقها في تناول كلِّ مسائلها من مرحلةٍ إلى أُخرى. أَمَّا الآن فإنَّ الفلسفة بكلِّ ما انطوت عليه قد انتشرت بين ميادين المعرفة وعلومها، ولم يعُدْ لها ما يمكن أَن تعدَّه حقلها الخاص. اللَّهمَّ إلاَّ إذا عزمت على اجترار مفرزات العلوم بطريقةٍ مخالفةٍ للأَصل؛ كأن تغدو . كما أَراد لها بعض المفكِّرين . رقيباً على العلم، أَو مدقِّقاً للغة والأَدب، وليس العلم والأَدب واللُّغة بحاجةٍ إلى من يقف أَمامهم لينظِّرَ لهم، ولا إلى من يقف وراءهم مصفِّقاً معجباً أَو مُصفِّراً مستنكراً.

إذن دعونا نعترف أَنَّ الفلسفة تقفُ الآن على شفا شفير الهاوية. وأَنَّها بحاجةٍ إلى إعادةِ كلِّ حساباتها من جديد؛ يجب أَن تخرجَ كلَّ دفاترها ومنسيَّاتها ومهملاتها لتحاسب نفسها وتعرف كيف ستحرِّكُ قدمها، وأَين ستضعها في الخطوة التَّالية، متذكِّرةً دائماً المقولة الشَّائعة بين الفلاسفة القائلة بأَنَّ الفلسفة لا تستحقُّ عناءَ ساعةٍ إن لم تُعالج المشكلات الكبرى.

ولكن يجب أَيضاً أَن تأخذَ بعين الحُسبان إعادة هيبتها وهيبة الفيلسوف إلى أَرض الواقع بعدما باتت شيئاً من مطويَّات الذَّواكر؛ فلولا أَنَّ المتفلسفين والمهتمِّين بالفكر الفلسفي قد نزلوا بالفلسفة إلى الحضيض من الابتذال لما لاقت مساعي أُستاذنا **عادل العوَّا** لتوسيع نطاق التَّعليم الفلسفي في مطالع الخمسينات «جواباً أَليماً جاء فيه أَنَّ كلِّيَّة الآداب لن تحتاج إلى أَكثر من ربع أُستاذٍ في الفلسفة»[١٠٢]. ولما جَمَعَ **بيير تويلييه** Thuilliier. بين «الكهنة والفلاسفة»[١٠٣] في سلَّةٍ واحدة كلُّ ما لديها أَطيافُ ذكرياتٍ شاحبةٍ عن الماضي. ولما عدَّ الفيزيائيُّ **ديفيد بوم** D. Bohm. الفلسفةَ مجرَّدَ منهجٍ أَو طريقة[١٠٤]. ولما أَكَّد **ميشيل سير** Michel Serres. ضرورة «تمرُّد الفيلسوف على عجز الفلسفة الحديثة عن الخروج من الكلمات والتَّمثُّل»[١٠٥]. بل لما ذَهَبَ **فولتير** Voltaire. وغيره إلى أَنَّ الفلسفة هي الَّتي تبحث عن قطَّةٍ، سوداء في ليلةٍ ظلماء، وهي غير موجودة. وتبعه الفيلسوف الروسي **شستوف** Shestov. بقوله: إنَّ الفيلسوف هو الَّذِي يطرقُ أَبواباً في الصَّحراء لا وجود لها.

---

[١٠٢] . د. عادل العوا: **حول أَزمة الفلسفة**. ضمن جريدة: الصَّرخة. دمشق. السَّنة الأُولى. العدد ٢٦. في ١٩٥٢/٢/١٩م.

[١٠٣] - Pierre Thuillier: **La Mecanque Quantique va-t-elle RéenchanterleMonde**.
كذلك في: كمال فوزي الشَّرابي: **نافذة على العالم**. ضمن مجلة: المعرفة. العدد ٣٦٩. ص ٢٢٩.

[104] - Pierre Thuillier: **Ibid**.

[١٠٥] . كمال فوزي الشَّرابي: **نافذة على العالم**. ضمن مجلة: المعرفة. العدد ٣٧٢. ص ٢٤٦.

لقد تحوَّلت الفلسفة إلى مَلْطَمٍ للأَكفِّ الصَّغيرة والوسطى والكبيرة، فكلّ امرءٍ يعكفُ على ترديد أَنَّه قادرٌ على خوض غمار المسائل الفلسفيَّة كلِّها دونما حَرَجٍ أَو خوفٍ من الزَّلل ... ويتمادى بعضٌ فيردُّ كلَّ الأَفكار الفلسفيَّة إلى المعرفة المبتذلة، الشَّائعة لدى كلِّ النَّاس؛ فَمُثُلُ **أَفلاطون** Plato. خيالات أَطفال، وأَمثليَّة طموحاته تدور في كلِّ الرُّؤوس. ومحرِّكُ **أَرسطو** Aristotle. الأَوَّل يعرفُ كلُّ الأَطفال كيف يحرجون آباءهم للوصول إليه في تساؤلاتهم عن أَسباب وجودهم وكيفيَّاتها، ومبادئ منطقه وأَقيسته الَّتي نظَّمها لم يكن ليشكَّ فيها أَحدٌ من سابقيه. ونظريَّة الفيض قد لا يقبلها السُّذجُ وقبلها فلاسفةٌ عظماء. وكوجيتو **ديكارت** R. Descartes. قاله **الغزَّالي، وابنُ سينا** بطريقته، ولكنَّ ذلك كلَّه حاضرٌ في الأَذهان قاطبةً وإن لم تكن في ساحات الشُّعور. وتجريبيَّة **هيوم** D. Hume. و**لوك** J. Locke. و**باركلي** G. Berkeley. و**كوندياك** Condillac. عُبِّرَ عنها في أَمثال معظم الشُّعوب القديمة. وكذلك أَصل الطَّبيعة البشريَّة، والحرِّيَّة، والقلق الوجودي. وبنيويَّة **شتراوس** Strauss. ومعها تفكيكيَّة **دريدا** J.Derrida. جزءٌ من آليَّة عمل الدِّماغ البشريِّ مهما تواضع أَو سما، ويمكنه إدراكهما بمجرد سؤاله نفسه: ماذا فعلت؟ وأَدلَّةُ وجود الله يعرفها المؤمنون كلَّهم بالفطرة، وأَدلَّة إنكاره ترود ذهن كلَّ متشكِّكٍ بوجوده. **فما الَّذِي قدَّمته الفلسفة عبر تاريخها؟؟!**

حَيْفٌ كبيرٌ أَن ننظرَ إلى ما مضى من تاريخ الفلسفة هذه النَّظرة السَّطحيَّة الضَّيِّقة والسَّاذجة، ولكنَّنا نظلم أَنفسنا ونخدعها إن قلنا إنَّ

الفلسفة قد ظلَّت فلسفةً، أَو إنَّ مستقبلها مشرقٌ أَو يدعو إلى أَيِّ تفاؤلٍ؛ كلُّ الدَّلائل تُشيرُ إلى وعورة طريقها الَّذِي إن لم تعرف كيف تتعاملُ معه فستجدُ نفسها آبدةً من الأَوابد الَّتي ندرسها بوصفها ماضٍ تامٍّ غير قابلٍ للتَّكرار. **فهل ستصبح دراسةُ الفلسفة كدراسة ظاهرةٍ بائدة؟**

دعونا نتساءل إذن، وقبل كلِّ شيء:

ما الفلسفة؟

وما الَّذِي تريده الفلسفة؟

عُذراً، أَعني:

من هم الفلاسفة، وما الَّذِي يريده الفلاسفة؟؟!.

* * *

خاتمة

لن تعرف معنى البحر ما دمت تتمشى على شاطئه مكتفياً بالتشمير عن ساقيك. ومشكلتنا مع مشكلة نهاية الفلسفة لا تبتعد عن هذه الحقيقة ـ البداهة.

لقد تمَّ الأمر بما يشبه النُّكتة؛ النكتة اللغز والنكتة المفارقة، ذلك أن الانعطافة، المثيرة للدهشة والاستغراب، التي مر فيها البحث مازالت تثير في كوامن الدهش والشده، ولعل هذا من أهم ما ساهم في تأخير صدور الكتاب. ولا يندُّ هذا المشروع، في انعطافته وتوسعه، بسبب تكامل مادة البحث ومعطياته، عن غيره من المشروعات، من حيث المبدأ، ولكن التحول الذي طرأ على هذا البحث ليست كغيرها من التحولات، فقد تحول، وبكل بساطة، من بحث إلى بحث آخر، ومن مقصد إلى مقصد آخر.

في الأصل لم نكن نقصد أن نكتب نهاية الفلسفة، ولا كان يخطر في بالنا، وإن كان جزءاً من مشروعنا أن نقف مثل هذه الوقفة، ولكن ليست هي ذاتها. لقد كانت البداية تدور حول محور وضع الفلسفة الراهن، وكان العنوان الذي بدأنا البحث فيه هو: أزمة الفلسفة، بوصف الموضوع مادة محاضرة غير

عامة. ولكن، ومع تجميع مادة البحث التي تراكمت شيئاً فشيئاً، بدت المعطيات مختلفة عما نحن نبحث فيه، وإن كانت تدور في فلك الإطار ذاته، ولكن الأمر أكبر من أمر أزمة... الأزمة عرض والنهاية جوهر، الأزمة مرض والنهاية موت، أيعقل أن تنتهي الفلسفة أو تموت بهذه البساطة وبهذه السهولة ؟! وهل يمكن أن تنتهي الفلسفة بجرَّة قلم أو بمجرَّد حكمٍ يدَّعيه أيٌّ كان من يدَّعيه ؟!

لقد علمتنا الفلسفة ذاتها أن لا شيء فوق القداسة ولا تحتها، وتجرَّأت على كل شيء من غير ما استثناء من غير ما خوف ولا خجل، فهل تظل هي وحدها تحت قبة القداسة وفوقها محجوبة عن عين كل ناقد ؟!

نحن لم ننتقدها لهذا السبب، ولم نهاجمها أصلاً ، وأعترف في هذه الخاتمة أنني تهيبت كثيراً من هذا العنوان الجريء المستفز الذي غلفت به الكتاب، وترددت كثيراً حتى استقريت عليه، ليس خوفاً من انتقاد أحد فمادة الكتاب تدافع عن ذاتها، ولكن اعترافاً بهيبة الفلسفة ومكانتها، وكان هذا السبب الثاني في تأخير صدور الكتاب.

إن ما فعلناه هو أننا ونحن ننظر في وضع الفلسفة الراهن للحديث عن أزمتها وجدنا أن الفلسفة ليست تحت القبة ولا فوقها، فالأزمة التي تمر بها الفلسفة الآن أزمة حقيقيَّة ليست كأيّ من الأزمات التي لم تؤثر فيها يوما من الأيام، ولم تكن لتعبأ

بها أبداً، أي ليست المسألة مسألة خصوم الفلسفة وأعدائها الذين كانوا يكيلون لها الاتِّهامات بعد الاتهامات ويشنون عليها الهجمات تلو الهجمات... ولا هي كامنة في أن الفلاسفة أنفسهم يهدمون ما قد بنى أسلافهم ليبنوا فلسفاتهم، فهذه ميزة للفلسفة لا عليها، ولا هي مشتقة من اتِّهامات الفلاسفة بعضهم بعضاً اتهامات قد لا تقل خطورة عن اتِّهامات أعداء الفلسفة وخصومها... لقد تبين لنا أنَّ الأمر الآن مختلفٌ تماماً، ذلك أن مفهوم الفلسفة بحدِّ ذاته الآن هو المعرض للخطر والطَّعن، ومن ثم إن غضضنا النظر عن أي اتهام أو اختراص أو افتراء من خصوم الفلسفة أو أنصارها، فإننا لا نستطيع أن نغض الطرف عن انسلاخ العلوم المتزايد عن حضن الفلسفة، الذي وصل إلى أوجه وشبه كماله أو نهاية طريقه الآن، حتَّى غدت الفلسفة من غير ميدان تبحث فيه، وهذه حقيقة ليست مثار كثير من الجدل، لأن الجدل لا يقدم ولا يؤخر أمام المعطيات التي الواقعية التي تفرض ذاتها على الجميع شاؤوا أم أبوا، لقد انسلخت عنها كلُّ ميادينها حتَّى أقربها إليها، بل حتَّى أعزَّ أجزائها إليها وألصقها بها؛ الميتافيزياء والمنطق والأخلاق والجمال، أمَّا المباحث الأخرى فلا تسأل عنها لأنَّها نالت وثائق استقلالها منذ زمن بعيد، فما الميدان الذي تستطيع الفلسفة أن تدَّعيه لها الآن ؟؟!!

المسألة إذن ليست مسألة أهمية مباحث الفلسفة وموضوعاتها أو عدم أهميتها، وإن كان كثيرون يثيرون مثل هذه المشكلة؛ مشكلة عدم جدوى العودة إلى كثير من مشكلات الفلسفة المحضة وعدم اكتراث الناس بها، إذ سيان اكترث الناس أم لم يكترثوا بها لم تعد ملكاً للفلسفة، ولذلك امتلك الكثيرون بجدارة مشروعية التشكيك فيما إذا كان بإمكان الفلسفة أن تدعي أن لها ميدان تنفرد فيه وحدها من دون سواها، وكثيرون يشككون في أنَّ الفلسفة ما زالت فلسفة أو تستحق أن تقول ها أنا ذا موجودة !! هذا ما يدور الآن في أروقة الفكر العالمي، فما مدى مصداقيَّته ؟ وقد ناقشنا ذلك وبيناه، ونحن لا نزداد إلا احتراماً لماضي الفلسفة المشرق، أعني للفلاسفة الذين تميزوا إلى الدرجة التي جعلتهم معدودين على قسمات الأصابع.

ثم ماذا بعد ذلك ؟

نحن لا نرجح ما قلناه ترجيحاً، ولا نغلب الظن فيه، بل نعتقده اعتقاداً، وإن كنا قد جرءنا وجهرنا به فإن كثيرين يضمرونه، وكثيرون غيرهم يتكابرون على الاعتراف به بشكل مباشر ولكنهم يعلنونه من حيث لا يدرون إذ يذهبون إلى أنَّ الفلسفة الآن أصبحت تخصصية كالعلوم؛ فلم تعد هناك فلسفة شاملة، مذهبية، كما كان الأمر فيما سبق، وإنما أصبحت هناك فلسفات؛ فلسفة

سياسية، فلسفة اجتماعية، فلسفة قومية، فلسفة دينية...

الحق أن هذا الكلام ليس إلا صيغة من صيغ التهرب من الموضوع، والمكابرة على آلام الجراح، لأن كل هذه الأفرع المدعاة علوم مستقلة، علوم بحد ذاتها لها اختصاصيوها وكلياتها ومعاهدها، وعلى الرغم من بعض تحفظاتنا على هذه الصيغة الجديدة لمفهوم الفلسفة، فإننا لا نجد ما يحول، من حيث المبدأ، دون أن تكون الفلسفة، ردحاً من الزمن، فلسفات جزئية، ولكنها لن تكون ظاهرة صحية، ولن تكون منقذاً للفلسفة. ولذلك لم يجد مؤرخ الفلسفة المتميز **جوستان جاردير** حرجاً من القول: "عندما تسمع أحداً يقول أنا (كفيلسوف)، يمكنك أن تفهم منه مباشرة أنه يقصد أنه يدرس الفلسفة". والطريف في الأمر أنَّه إن كان ثمة ما يسوغ لبعض المفكرين ادعاء أنهم فلاسفة، فإنَّ ثمة أناس سوَّغوا لأنفسهم ادعاء أنهم فلاسفة من خلال بضع كتب قرأوها، أو بسبب قدرتهم على الكلام ساعات من غير أن يفهم من كلامهم شيءٌ.

المشكلة إن وكانت كامنة في تناثر ميادين الفلسفة ومباحثها واستقلالها، في وجهها الظاهر، وليس هذا بالأمر السهل أبداً، فإنها كامنة في حقيقة الأمر، في غياب الفلاسفة، غياب من هم أهل حقيقيون لأن يطلق عليهم لفظ الفلاسفة، ليس لقلة العباقرة أو ندرتهم، ولا لغياب من يستحقون

ذلك في خصائص طبائعهم، بل لأن الظروف المعرفية التاريخية الراهنة غير مؤهلة لإفراز الفلاسفة، أو ابتناء الفلاسفة، ولأنَّ الهم البشري الذي يفرض ذاته الآن على المفكرين والمبدعين ليس قادراً على أن يكون حاملا للتفلسف بمعناه الأصيل؛ الكلي والشمولي... ولذلك فإن المنقذ؛ منقذ الفلسفة، هو إما أن تتوفر الحاضنة التاريخية المناسبة لإنجاب الفلاسفة، أو أن يأتي من يستطيع تجاوز الشروط التاريخية الراهنة أو المرافقة ليكون فيلسوفاً جديراً بلقب فيلسوف.

عزت السَّيد أحمد
دمشق ـ ١٩٩٦م.

ثبت الاصطلاحات

أوَّلاً: حسب الألفبائيَّة العربيَّة

عــربي	فرنــسي	إنجليــزي
استحالة	Altération	Alteration
الاقتصاد	Economie	Economy
إمكان	Possibilité	Possibility
الإناسة (علم أصل الإنسان)	Anthropologie	Anthropology
البرهان	Démonstration	Demonstration
بنية	Structure	Structure
البنيوية	Structuralisme	Structuralism
التاريخ	Historie	History
التَّأثير	Influence	Influence
التَّجربة	Experience	Experience
التَّجريب	Expérimentation	Experiment
التَّجريد	Abstraction	Abstraction
التَّحليل	Analyse	Analysis
التَّركيب	Synthèse	Synthesis
تحليليَّة (الفلسفة التحليليَّة)	Philosophie Analytique	Analytical Philosophy
التَّصوُّر	Conception	Conception
التضمن	Implication	Implication
التَّعريف	Définition	Definition

عــربي	فرنــسي	إنجليــزي
التَّفسير	Explication	Explication
التَّفلسف الكاذب	Philodoxie	Philodoxy
التَّناقض	Contradiction	Contradiction
التَّوليديَّة	Nativisme	Nativism
الثَّابت	Constant	Constant
الثَّقافة	Culture	Culture
الجوهر	Substance	Substance
الحتميَّة	Determinisme	Determinism
حجة (حجج)	Argument	Argument
الحقيقة	Vérité	Truth
الرُّوح	Esprit	Spirit
الرُّوح (علم الروح)	Spiritisme	Spiritism
ريبية	Scepticisme	Scepticism
سبب	Raison	Reason
سفسطة (مغالطة)	Sophisme	Sophism
شك	Doute	Doubt
الصُّوفي	Mystique	Mystic
الصُّوفية	Mysticisme	Mysticism
الطُّوباوية	Utopie	Utopia
العبث	Vain	Vain
العبقريَّة	Génie	Genius

عــربي	فرنــسي	إنجليــزي
عقائديَّة	Ideology	Ideology
العقلانيَّة	Rationalisme	Rationalism
العلَّة	Cause	Cause
علم	Science	Science
علم اجتماع	Sociologie	Sociology
علم الأحياء	Biology	Biology
علم طبقات الأرض	Geology	Geology
علم النَّفس	Psychologie	Psychology
العلوم الإنسانيَّة	Sciences Humaines	Humanity Sciences
العلوم الاجتماعيَّة	Sciences Social	Social Sciences
العلوم المعياريَّة	Sciences Normatives	Normative Sciences
فلسفة	Philosophie	Philosophy
فلسفة (الفلسفة المدرسية)	Scholastic	Scholastic
الفيلسوف	Philosophe	Philosopher
القبلي	A priori	A priori
القيمة	Valeur	Value
اللغة	Langage	Language
الماهيَّة	Substance	Substance
المجتمع	Société	Society
مذهب	Doctrine	Doctrine

عــربي	فرنــسي	إنجليــزي
مشكلة	Problème	Problem
المطلق	Absolu	Absolute
المعرفة	Connaissance	Knowledge
المفارقة	Paradoxe	Paradox
مفهوم	Concept	Concept
ممتنع (مستحيل)[١]	Impossible	Impossible
ممكن	Possible	Possible
مناهج البحث	Methodologie	Methodology
منطق	Logique	Logic
موضوعية	Objectivité	Objectivity
نتيجة	Conclusion	Conclusion
نظرية	Théorie	Theory
النفس	Ame	Soul
النفعية	Pragmatisme	Pragmatism
وثوقية	Dogmatisme	Dogmatism
الوجود	Existence	Existence
الوجودية	Existentialisme	Existentialism
الوضعيَّة المنطقيَّة	Positivsime Logique	Logical Positivism

[١] . درجت العادة خطأً على استخدام لفظ المستحيل عوضاً عن الممتنع وهذا محض خطأ لأنَّ الاستحالة من التَّحوُّل أو الانتقال من حال إلى حال، والصحيح فقط هو الامتناع.

ثانياً: حسب الألفبائيَّة اللاتينية

عــربي	فرنــسي	إنجليــزي
القبلي	A priori	A priori
المطلق	Absolu	Absolute
التَّجريد	Abstraction	Abstraction
استحالة	Altération	Alteration
التَّحليل	Analyse	Analysis
تحليليَّة (الفلسفة التحليليَّة)	Philosophie Analytique	Analytical Philosophy
الإناسة (علم أصل الإنسان)	Anthropologie	Anthropology
حجة (حجج)	Argument	Argument
علم الأحياء	Biology	Biology
العلَّة	Cause	Cause
مفهوم	Concept	Concept
التَّصوُّر	Conception	Conception
نتيجة	Conclusion	Conclusion
الثَّابت	Constant	Constant
التَّناقض	Contradiction	Contradiction
الثَّقافة	Culture	Culture
التَّعريف	Définition	Definition
البرهان	Démonstration	Demonstration
الحتميَّة	Determinisme	Determinism

عــربي	فرنــسي	إنجليــزي
مذهب	Doctrine	Doctrine
وثوقية	Dogmatisme	Dogmatism
شك	Doute	Doubt
الاقتصاد	Economie	Economy
الوجود	Existence	Existence
الوجودية	Existentialisme	Existentialism
التَّجربة	Experience	Experience
التَّجريب	Expérimentation	Experiment
التَّفسير	Explication	Explication
العبقريَّة	Génie	Genius
علم طبقات الأرض	Geology	Geology
التاريخ	Historie	History
العلوم الإنسانيَّة	Sciences Humaines	Humanity Sciences
عقائديَّة	Ideology	Ideology
التضمن	Implication	Implication
ممتنع (مستحيل)[٢]	Impossible	Impossible
التَّأثير	Influence	Influence
المعرفة	Connaissance	Knowledge

[٢] . درجت العادة خطأً على استخدام لفظ المستحيل عوضاً عن الممتنع وهذا محض خطأ لأنَّ الاستحالة من التَّحوُّل أو الانتقال من حال إلى حال، والصحيح فقط هو الامتناع.

عــربي	فرنــسي	إنجليــزي
اللغة	Langage	Language
منطق	Logique	Logic
الوضعيَّة المنطقيَّة	Positivsime Logique	Logical Positivism
مناهج البحث	Methodologie	Methodology
الصُّوفي	Mystique	Mystic
الصُّوفية	Mysticisme	Mysticism
التَّوليديَّة	Nativisme	Nativism
العلوم المعياريَّة	Sciences Normatives	Normative Sciences
موضوعية	Objectivité	Objectivity
المفارقة	Paradoxe	Paradox
التَّفلسف الكاذب	Philodoxie	Philodoxy
الفيلسوف	Philosophe	Philosopher
فلسفة	Philosophie	Philosophy
إمكان	Possibilité	Possibility
ممكن	Possible	Possible
النفعية	Pragmatisme	Pragmatism
مشكلة	Problème	Problem
علم النَّفس	Psychologie	Psychology
العقلانيَّة	Rationalisme	Rationalism
سبب	Raison	Reason

عــربي	فرنــسي	إنجليــزي
ريبية	Scepticisme	Scepticism
فلسفة (الفلسفة المدرسية)	Scholastic	Scholastic
علم	Science	Science
العلوم الاجتماعيَّة	Sciences Social	Social Sciences
المجتمع	Société	Society
علم الاجتماع	Sociologie	Sociology
سفسطة (مغالطة)	Sophisme	Sophism
النفس	Ame	Soul
الرُّوح	Esprit	Spirit
علم الروح	Spiritisme	Spiritism
البنيوية	Structuralisme	Structuralism
بنية	Structure	Structure
الجوهر	Substance	Substance
الماهيَّة	Substance	Substance
التَّركيب	Synthèse	Synthesis
نظرية	Théorie	Theory
الحقيقة	Vérité	Truth
الطُّوباوية	Utopie	Utopia
العبث	Vain	Vain
القيمة	Valeur	Value

ثبت الأَعلام

١. الأبياري؛ إبراهيم الأبياري : ٢٨ح.
٢. أبيلارد؛ بيتير أَبيلارد . Peter Abelard : ١٩.
٣. أجريبا؛ كورني أَجريبا . C. Agrippa : ٢٦.
٤. إرازمس . Van Rotterdam Erasmus : ١٩.
٥. أرسطو . Aristotle : ١٩، ٤٠، ٦٤، ٧٥.
٦. إسباسيا (أسبوزيبوس) . Speusippus : ١٩.
٧. إسترسون؛ آلين إسترسون . A. Isterson: ٦٧ح.
٨. الإسكندر . Alexander : ١٩.
٩. إسماعيل؛ محمد عماد الدين إسماعيل : ٤٨ح.
١٠. أفلاطون . Plato :١٦، ١٨، ١٩، ٣٠، ٣٢، ٣٣، ٥٦، ٦٤، ٧٥.
١١. إقليدس . Euclid : ٣٢.
١٢. أناسيداموس . Aenisedimus : ٢٦.
١٣. الأَهواني؛ أَحمد فؤاد الأَهواني: ٢٠ح.
١٤. أوريليوس؛ مرقص أُوريليوس . Marcus Aurelius : ١٨.
١٥. أُومبرتو إكُّو . Umberto Eco : ٣٤، ٦٣، ٦٩.
١٦. آير؛ أَلفرد جولز آير . Alfred, J.Ayer : ٥٠، ٧٠.
١٧. ألكييه؛ فرديناند أَلكييه . Ferdinand Alquié : ٤٢.
١٨. باجه؛ ابن باجه . Avempace : ١٦.
١٩. باركلي؛ جورج باركلي . George Berkeley : ٧٥.
٢٠. باشلار؛ جاستون باشلار . Gaston Bachelard : ٦٦.
٢١. بايه؛ أَلبير بايه . A. Bayt : ٤٧.
٢٢. برتلو؛ مارسلان برتلو . M. Berthelot : ٤٧.
٢٣. برجسون؛ هنري لوي برجسون . Henri Bergson : ١٧، ١٨ح.
٢٤. برنو؛ جوردانو برنو . Giordano Bruno : ١٦، ١٨.

٢٥. برهيه؛ إميل برهيه . Emile Bréhier : ٢٥، ٢٦، ٤٠.
٢٦. بروتاجوراس . Protagoras : ١٦، ١٩.
٢٧. بريل؛ ليفي بريل . Lévy Bruhl : ٦٨.
٢٨. بلوز؛ نايف بلوز . Nayef Bllwoz : ٦١، ٦٥ح.
٢٩. بوم؛ ديفيد بوم . David Bohm : ٧٤.
٣٠. بيستيل؛ إدوارد بيستيل . Eduard Pestel : ٥٢.
٣١. بيكون؛ فرانسيس بيكون . F.Bacon : ١٦، ١٩، ٣٠.
٣٢. التَّوحيديُّ؛ أَبو حيَّان التَّوحيديُّ . Al- Tawhidi : ١٦.
٣٣. توفلر؛ ألفين توفلر . Alvin Toffler : ٥٢.
٣٤. تويلييه؛ بيير تويلييه . Thuilliier : ٥٣، ٥٦، ٧٤.
٣٥. تيمية؛ ابن تيميَّة . Ibn Taymiya : ٤٠.
٣٦. جانيه؛ بول جانيه . Paul Janet : ٤٠.
٣٧. جوفروا؛ تيودور سيمون جوفروا . Th. Joufroy : ٢٥، ٤٨، ٦٥.
٣٨. جونتر فاكترز هاوسر : ٥٣.
٣٩. جويس؛ جيرالد جويس : ٥٣.
٤٠. جيرمايا؛ هيبرو جيرمايا: ٢٨.
٤١. جيرو؛ مارسيال جيرو . M. Guéroult : ٢٦، ٢٧ح، ٢٨، ٤٢.
٤٢. الحامدي؛ محمد فيض الله الحامدي : ٣٨ح.
٤٣. حسن؛ محمد سليمان حسن : ٥٧.
٤٤. دالمبير؛ جان لورند دالمبير . J.L.D'Alembert : ١٨، ٤٧.
٤٥. دراكر؛ بيتر.ف. دراكر . P. F. Draker : ٥١.
٤٦. دروس . A.R.Drous : ١٥.
٤٧. دريدا؛ جاك دريدا . Jacques Derrida : ٦٣، ٧٥.
٤٨. ديبوف . Debouf : ١٧.
٤٩. ديزانتي؛ جاك . توسان ديزانتي . Jacques, T.Desanti: ٥٠، ٥٤، ٥٥، ٦٣.
٥٠. ديكارت؛ رينيه ديكارت . R. Descartes : ٢٥، ٢٧، ٣٠، ٣١، ٥٦، ٥٧، ٧٥.

٥١. ديوجينس . Diogenes : ١٩.
٥٢. ديورانت؛ ول ديورانت . Will Durant: ٢٠ح، ٢٩، ٦١ح، ٦٥ح، ٦٦ح.
٥٣. ديونيسوس . Dionysius : ١٩.
٥٤. رسل ؛ برتراند رسل . Bertrand Russell : ٤٨، ٦٦، ٦٩.
٥٥. رشد؛ ابن رشد . Averroes : ١٦.
٥٦. روبرتسون؛ بات روبرتسون . P. Robertson : ٢٨ح، ٣٢، ٣٣ح.
٥٧. روسُّو؛ جان جاك . Jean J. Rousseau : ١٧، ٢٧، ٣٣.
٥٨. رينان؛ إرنست رينان . Ernst Renan : ٤٧.
٥٩. رينوفييه؛ شارل رينوفييه . Charles Renouvier : ٤٧.
٦٠. سارتر؛ جان بول سارتر . Jean.P.Sartre : ٣٢، ٤٣، ٦٣.
٦١. سانتيانا؛ جورج سانتيانا . George Santayana : ٤٣.
٦٢. سبنسر ؛ هربرت سبنسر . Herbert Spencer : ٦٦.
٦٣. سبينوزا؛ باروخ سبينوزا . Baruch Spinoza : ٢٧، ٤٢.
٦٤. السَّقا؛ مصطفى السَّقا : ٢٨ح.
٦٥. سقراط . Socrates : ١٦، ١٨ ، ٣٠.
٦٦. سكوف؛ وليام سكوف : ٥٣.
٦٧. سوسير؛ فرديناد دي سوسير . F.de Saussure : ٦٣.
٦٨. سولومون؛ روبرت سولومون . Robert Solomon : ٢٩، ٣١ح، ٣٣، ٣٤ح، ٤٧ح، ٤٨، ٦٣.
٦٩. سياي؛ جبريل سياي . Gabriel Séailles : ٤٠.
٧٠. سير؛ ميشيل سير . Michel Serres : ٣٩، ٤٧، ٥٦، ٦٣، ٧٢، ٧٤.
٧١. سيف الدَّولة : ٣٠.
٧٢. سينا؛ ابن سينا . Avicenna : ١٦، ٣٠، ٧٥.
٧٣. شتراوس؛ كلود ليفي شتراوس . C.L.Strauss : ٧٥.
٧٤. شستوف؛ ليو شستوف . Leo Shestov : ٦٩، ٧٤.

٧٥. الشَّرابي؛ كمال فوزي الشَّرابي : ٣٩ح، ٥٠ح، ٥٣ح، ٥٤ح، ٥٥ح، ٥٦ح، ٥٧ح، ٦٣ح، ٦٨ح، ٧٢ح، ٧٤ح.
٧٦. شلبي؛ عبد الحفيظ شلبي : ٢٨ح.
٧٧. شلنج؛ فريدريش فلهلم . Friedrich Wilhelm Schelling : ١٥، ٢٧.
٧٨. شوك؛ إيفويت شوك : ٥٣.
٧٩. شِيشرون؛ ماركوس تلليوس شِيشرون . Marcus Tullius Cicero : ٣٧، ٤٠.
٨٠. صدقني؛ جورج صدقني : ٢٧ح.
٨١. صليبا؛ جميل صليبا : ٢٥ح.
٨٢. الطَّويل؛ توفيق الطَّويل : ٦٧ح.
٨٣. العكبري؛ أَبو البقاء العكبري : ٢٨ح.
٨٤. العوَّا؛ عادل العوَّا : ١٨ح، ٣١ح، ٣٢ح، ٣٧ح، ٤٠ح، ٤١، ٤٧، ٤٨ح، ٤٩ح، ٦١ح، ٧٠ح، ٧٤.
٨٥. غالي؛ وائل غالي : ١٣ح، ١٤ح، ١٥ح، ٣١ح، ٣٩ح، ٥١ح، ٧٠ح.
٨٦. غانم؛ بولس غانم : ٢٧ح.
٨٧. غريزوني؛ دومينيك . أَنطون غريزوني . D.A.Grisoni : ٦٢، ٦٣، ٦٧.
٨٨. الغزَّالي؛ أَبو حامد الغزَّالي . Al- Ghazzali : ٣٠، ٣١، ٧٠.
٨٩. الفارابي؛ أَبو نصر الفارابي . Al-Farabi : ١٦، ٣٠.
٩٠. فاليري ؛ بول فاليري . Paul Valéry : ٤١.
٩١. فتجنشتين؛ لودفيج فتجنشتين . Ludwig Wittgenstein : ٣٧، ٤٢، ٤٧، ٤٩، ٥٥، ٧٠.
٩٢. فرويد؛ سيجموند فرويد . Sigmund Freud : ٦٧.
٩٣. فريدريك الأكبر : ١٩.
٩٤. فشته؛ يوهان جوتليب فيشته . Johann Gottlieb Fichte : ١٥، ٢٧.
٩٥. فوكو؛ ميشيل فوكو . Michel Foucault : ١٣.
٩٦. فوكوياما؛ فرنسيس فوكوياما : ١٣، ٦٣.
٩٧. فولتير؛ فرانسوا فولتير . Francois Voltaire : ١٦، ١٩، ٣٣، ٧٤.

٩٨. فولكييه؛ بول فولكييه . Paul Foulquié : ٣٢.
٩٩. فويرباخ؛ لودفيج فويرباخ . Ludwig Feuerbach : ٧٠.
١٠٠. كارناب؛ رودلف كارناب . Rudolf Carnap : ٥٠، ٧٠.
١٠١. كانت؛ إمانويل كانت . Emmanuel Kant : ١٤، ١٥، ٢٧، ٣٠، ٣١، ٣٣، ٧٠.
١٠٢. كرم؛ يوسف كرم : ٢٦ح.
١٠٣. الكسم؛ بديع الكسم : ١٨ح، ٢٧ح، ٣٧ح، ٦٩ح.
١٠٤. الكنديُّ؛ يعقوب بن اسحق الكنديُّ . Al - Kindi : ١٦.
١٠٥. كورنيش؛ إدوارد كورنيش . Edward Cornish : ٥٢.
١٠٦. كونت ؛ أُوجست كونت . Auguste Comte : ٤٧.
١٠٧. كوندياك؛ إيتين بونو دي كوندياك . Etienne.B.de Condillac : ٧٥.
١٠٨. كيركيجارد؛ سورين كيركيجارد . Soren Kierkegaard : ٤٧، ٥٦.
١٠٩. كيندي؛ بول كيندي : ٥٢.
١١٠. لايبنتز؛ جوتفريد فلهلم لايبنتز . Gottfried.W.Leibnz : ٢٧.
١١١. لورنز؛ كونراد لورنز . C.Lorenz : ٥٤، ٦٣.
١١٢. لوك؛ جون لوك . John Locke : ٢٧/٢٨، ٧٥.
١١٣. ماخ؛ إرنست ماخ . Ernst Mach : ٦٧.
١١٤. مارسيل؛ جبريل مارسيل . Gabriel Marcel : ٤٢.
١١٥. ماركس؛ كارل ماركس . Karl Marx : ٣١، ٣٧، ٤٧، ٧٠.
١١٦. مالبرانش؛ نيقولاي مالبرانش . Nicolas Malebranche : ٢٧، ٤٢.
١١٧. مالينوفسكي . Malinowski : ٦٣.
١١٨. المتنبِّي؛ أَبو الطَّيب المتنبِّي : ٢٨.
١١٩. مقدسي؛ أَنطون مقدسي : ٦٤، ٦٥ح.
١٢٠. موران؛ إدجار موران . Edgar Morin : ٥٢.
١٢١. مورفيتش؛ هارولد مورفيتش : ٥٣.
١٢٢. موس؛ مارسيل موس . M.Mauss : ٦٣.

١٢٣.موسى؛ نبي الله موسى : ٣٨، ٧٠.
١٢٤.ميخائيل؛ مدحت ميخائيل : ٦٧ح.
١٢٥.ميللر؛ ستانلي ميللر . S. Miller : ٥٣.
١٢٦.ميهاجلو ميزاروفيك . Mihajlo Mesarovic : ٥٢.
١٢٧.ناش؛ جيه مادلين ناش : ٥٣.
١٢٨.ناصر الحلواني : ٣٤ح.
١٢٩.نيتشه؛ فريدريك نيتشه . Friedrich Nietzche : ١٣، ٣١، ٥٦.
١٣٠.هرش؛ جان هرش . Jeanne Hersch : ٣٧.
١٣١.هنا؛ عطيه هنا : ٤٨ح.
١٣٢.هوبز؛ توماس هوبز . Thomas Hobbes : ٢٨.
١٣٣.هوسرل؛ إدموند هوسرل . Edmund Husserl : ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٢، ٦٤.
١٣٤.هولباخ؛ بول هينرش ديتريش هولباخ . P.H.D Holbach : ٢٧.
١٣٥.هولدرن؛ فريدريش هولدرن . Friedrich Hôlderin : ١٥.
١٣٦.هيباتيا . Hypatia : ١٩.
١٣٧.هيجل؛ جورج فلهلم فريدريش هيجل . G.W.F.Hegel : ١٥، ٢٧، ٣١، ٣٣، ٣٩، ٤٢، ٥٦، ٥٧، ٦٢، ٧٠.
١٣٨.هيدجر؛ مارتن هيدجر . M. Heidegger : ٤٢، ٦٤.
١٣٩.هيكل ؛ إرنست هيكل . Ernst Heackel : ٦٧.
١٤٠.هيوم؛ ديفيد هيوم . David Hume : ٧٥.
١٤١.وايتهد؛ ألفرد نورث وايتهد . A.N.whitehead : ٥٠.
١٤٢.ولسون؛ إي.أو. ولسون . I.O.Welson : ٤٧، ٥٣.
١٤٣.ولف؛ كريستيان ولف . C.Wolf : ٣١.
١٤٤.ياسبرز؛ كارل ياسبرز . Karl Jaspers : ٣٨، ٣٩ح، ٥٧ح.

* * *

ثبت المراجع

أَوَّلاً: المراجع العربيَّة

١. آلين إسترسون: **فرويد المحتال** . ترجمة: مدحت ميخائيل . ضمن مجلة: **القاهرة** . القاهرة . العدد ١٦١ .

٢. أَبو البقاء العكبري: **شرح ديوان أبي الطَّيب المتنبِّي** . تحقيق السَّقا والأبياري وشلبي . نشر مصطفى البابي الحلبي . القاهرة . ١٩٧١م.

٣. إدموند هوسرل : **تأملات ديكارتية** ؛ ترجمة تيسير شيخ الأرض . دمشق.

٤. أَنطون مقدسي: **الفلسفةُ نمط من أَنماط الفكر**: حوارٌ أَجرته معه صحيفة: **الثَّورة** . دمشق . عدد ١٩٩٤/٧/٢٣م.

٥. أُومبرتو إكُّو: **العودة إلى الجذور المهجورة؛ التَّأويل والتَّاريخ** . ترجمة: ناصر الحلواني . ضمن مجلة: **القاهرة** . القاهرة . العدد ١٦١ .

٦. إبراهيم مدكور: **المعجم الفلسفي** . مجمع اللغة العربيَّة . القاهرة . ١٩٨٣م.

٧. تيمية (ابن تيمية) : **رسالة معراج الوصول ؛ ضمن مجموعة الرسائل الكبرى** . مكتبة محمد علي صبيح . القاهرة . ١٩٦٦م.

٨. بات روبرتسون: **النَّظام اليهودي العالمي الجديد** . ضمن مجلة: **القاهرة** . القاهرة . العدد ١٦١ .

٩. برتراند رسل: **مشاكل الفلسفة** . ترجمة: محمد عماد الدين إسماعيل وعطية محمود هنا . القاهرة.

١٠. بول فولكييه: **هذه هي الوجوديَّة** . ترجمة: محمد عيتاني . دار بيروت . بيروت . ١٩٥٣.

١١. توفيق الطَّويل: **أُسس الفلسفة** . دار النهضة العربية . القاهرة . ط٦ . ١٩٧٦م.

١٢. جان جاك روسُّو: **أَصل التَّفاوت بين البشر** . ترجمة: بولس غانم . اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع . بيروت . ١٩٧٢م.

١٣. رينه ديكارت : **مقالة في الطريقة** ؛ ترجمة: جميل صليبا . اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع . بيروت . ط٢ . ١٩٧٠.

١٤. عادل العوا : **مقدِّمات الفلسفة** . منشورات جامعة دمشق . مطبعة ابن حيَّان . دمشق . ١٩٨٦.

١٥. عادل العوا: **لتسقط الفلسفة** . ضمن جريدة؛ **بردى** . دمشق . السَّنة الأُولى . العدد ١٣٥ . ١٩٤٦/٧/٤م.

١٦. عادل العوَّا: **حول أَزمة الفلسفة** . ضمن جريدة: **الصَّرخة** . دمشق . السَّنة الأُولى . العدد ٢٦ . في ١٩٥٢/٢/١٩م.

١٧. كمال فوزي الشَّرابي: **نافذة على العالم** . ضمن مجلة: **المعرفة** . وزارة الثَّقافة . دمشق . العدد ٣٦٩ . حزيران ١٩٩٤م.

١٨. كمال فوزي الشَّرابي: **نافذة على العالم** . ضمن مجلة: **المعرفة** . وزارة الثَّقافة . دمشق . العدد ٣٧٠ . تموز ١٩٩٤.

١٩. كمال فوزي الشَّرابي: **نافذة على العالم** . ضمن مجلة: **المعرفة** . وزارة الثَّقافة . دمشق . العدد ٣٧٢ . أَيلول ١٩٩٤م.

٢٠. كمال فوزي الشَّرابي: **نافذة على العالم** . ضمن مجلة: **المعرفة** . وزارة الثَّقافة . دمشق . العدد ٣٨١ . حزيران ١٩٩٥م.

٢١. كمال فوزي الشَّرابي: **نافذة على العالم** . ضمن مجلة: **المعرفة** . وزارة الثَّقافة . دمشق . العدد ٣٨٠ . أَيَّار ١٩٩٥م.

٢٢. محمد بديع الكسم : **البرهان في الفلسفة** . ترجمة : جورج صدقني . وزارة الثقافة . دمشق . ١٩٩١ م.

٢٣. محمد بديع الكسم : **دراسة حول التطور الخالق لهنري برجسون،** ضمن كتاب : **تاريخ الفلسفة المعاصرة** . إعداد قسم الدراسات الفلسفية المعاصرة . جامعة دمشق . ١٩٨٧م.

٢٤. محمد سليمان حسن: **فلسفة ياسبرز** . ضمن مجلة: **المعرفة** . وزارة الثَّقافة . دمشق . العدد ٣٧٩.

٢٥. محمد فيض الحامدي: **كيف حدث التَّطوُّر** . ضمن مجلة: المعرفة . وزارة الثَّقافة . دمشق . العدد ٣٧٢ . أَيلول ١٩٩٤م.

٢٦. نايف بلوز: **مناهج البحث في العلوم الطَّبيعيَّة** . منشورات جامعة دمشق . دمشق . ١٩٨٤م..

٢٧. وائل غالي: **ذروة الفلسفة في عصر الهاوية** . ضمن مجلة: **القاهرة** . القاهرة . العدد ١٦١.

٢٨. ول ديورانت : **مباهج الفلسفة** ؛ ترجمة أَحمد فؤاد الأَهواني . مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة . ط٢ . ١٩٥٧م.

٢٩. يوسف كرم : **تاريخ الفلسفة اليونانية** . دار القلم . بيروت . د.ت.

ثانياً: المراجع الأَجنبيَّة

30. Bachelard, G**: Le Matérialism Rationnel.** Paris. 1953.
31. Baumgol: **Hobbes'sPolitical Theory**. Cambridge, London. 1988.
32. Bennett, J: **A Study of Spioza's Ethics**. Cambridge, London. 1984.
33. Brehier, E**: Les Thémes Actnels de la Philosophie.** Paris. 1951.
34. d'Holbach, P.-H.: **The System of Nature**. New York. 1970.
35. Drous. A .R:**Greek et Rational**. Flammarion. Paris. 1977. P189.Janet, P & Séailles, G**: Histoire de la Philosophie .** Paris . 1938.
36. Jaspers, K **: Introduction à la Philosophie.** Tran ; J. Hersch. Paris. 1953.
37. Locke, J: **Essay Concerning Human Undersanding** (London. 1690). The partially modernized quotions are from P.H.Nidditch's authoritative edn. Oxford, 1975.
38. Mach,E: **Phyicist and Philosopher**. Dordrecht. 1970.
39. Solomon, R**: The Bully Culture; Enlightenment, Romanticism, and the Transcendental Pretense 175-185.** C. Maryand: Littlefield Adams. 1993.
40. Thuillier, P: **La Mecanque Quantique va-t-elle Réenchanterle Monde**. LA RECHERCHE. V 215. 1989.

صدر من كتب المؤّلف

أوّلاً: في الفلسفة والنّقد

١ . فلسفة الفنِّ والجمال عند ابن خلدون . دار طلاس . دمشق . ١٩٩٣م.

٢ . علم الجمال المعلوماتي؛ نحو نظريَّة جديدة . دار الأَصالة للطِّباعة . دمشق . ١٩٩٤م.

٣ . دفاعٌ عن الفلسفة؛ الفلسفة ثرثرةٌ أَم أُمُّ العلوم . دار الأَصالة للطِّباعة . ١٩٩٤م.

٤ . هؤلاء أَساتذتي؛ من روَّاد الفكر العربي المعاصر في سوريا . دار الثَّقافة . دمشق . ١٩٩٤م.

٥ . انهيار الشِّعر الحر . دار الثَّقافة . دمشق . ١٩٩٤م.

٦ . انهيار دعاوى الحداثة؛ الحداثة ضرورة تاريخيَّة لا خِيار سياسي . دار الثَّقافة . دمشق . ١٩٩٥م.

٧ . مكيافيليَّة ونيتشويَّة تربويَّة . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.

٨ . الحداثة بين العقلانية واللاعقلانية؛ انهيار دعاوى الحداثة . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.

٩ . نهاية الفلسفة . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.

١٠ . التوحيدي؛ مؤلفاته وما ألف عنه . دار الفكر الفلسفي . دمشق (قيد الطباعة).

ثانياً: في السِّياسة

١٠ .كيف ستواجه أَمريكا العالم؟؛ الهيمنة الأَمريكيَّة والنِّظام العالمي الجديد . دار السَّلام للطِّباعة . دمشق . ١٩٩٢م.

١١ . الأُمم المتَّحدة بين الاستقلال والاستقالة والتَّرميم؛ مأزق الأُمم المتَّحدة في النِّظام العالمي الجديد . دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م.

١٢ . النِّظام الاقتصادي العالمي الجديد؛ من حرب الأَعصاب إلى حرب الاقتصاد . دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م.

١٣ . انهيار أسطورة السَّلام؛ مصير السَّلام العربي الإسرائيلي . دار الأصالة . دمشق . ١٩٩٦م.

١٤ . انهيار مزاعم العولمة؛ قراءة في تواصل الحضارات وصراعها . قيد الطِّباعة.

ثالثاً: الشّعر

١٥ . لا تعشقيني . دار الأَصالة للطِباعة . دمشق . ١٩٩٤م.

١٦ . أَنا صدى الليل . دار الأَصالة للطِّباعة . دمشق . ١٩٩٥م.

١٧ . أُنشودة الأَحزان . دار الأَصالة للطِّباعة . دمشق . ١٩٩٦م.

١٨. أَميرة النَّار والبحار . دار الأَصالة للطِّباعة . دمشق . ١٩٩٦م.

رابعاً: القصّة

١٩ . الدَّخيل على المصلحة (قصص) . ن.م . دمشق . ١٩٩٣م.

٢٠ . الموت بدون تعلق (قصص قصيرة جدًّا) . دار الأَصالة لطِّباعة . دمشق . ١٩٩٤,

٢١. غاوي بطالة (قصص قصيرة) . دار الأَصالة للطِّباعة . دمشق . ١٩٩٦م.

رابعاً: الجمع والإعداد

٢٢ . بديع الكسم . وزارة الثَّقافة . دمشق . ١٩٩٤م.

٢٣ . قراءات في فكر بديع الكسم . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.

٢٤ . عادل العوا في فكره التربوي . (قيد الطباعة).

المشـتمل

. الإهداء ٥
. مقدِّمـة ٧
الفصل الأَوَّل
. فكرة موت الفلسـفة ١١
الفصل الثاني
. معضـلة الفلاسـفة ٢٣
الفصل الثالث
. الفلسفة تدور في الفراغ ٣٥
الفصل الرَّابع
. ماذا بقي من الفلسـفة ٤٥
الفصل الخامس
. نهايـة الفلسـفة ٥٩
. خاتمة ٧٧
. ثبت الاصطلاحات ٨٣
. ثبت الأَعلام ٩١
. ثبت المراجع ٩٧
. صدر من كتب المؤلف ١٠١
. المشتمل ١٠٣

تطلب

منشورات دار الفكر الفلسفي

من

مكتبة دار طلاس

دمشـــــــق - المرجة - برج دمشق - ط١ - ص. ب: ١٦٠٣٥
هـ الإدارة ٦٦١٨٠١٣ - ١١ ٠٠٩٦٣ - هـ المكتبة: ٢٢٢٩٥٥٨

ومن مندوبيـــــها في المحافظات

مكتبة النُّوري

دمشـــق - مقابل البريد المركزي - ص . ب: ٨٣٤ - ١٧٦
هـ: ٢٣١١١٨٩ - ٢٢١٤٥٣٠ فاكس: ٣٣٣١٦٧٥ ١١ ٠٠٩٦٣

مكتبة نوبل

دمشـــــق - مقابل فندق الشَّام - هـ: ٢٢٣٦٨٧٣- ١١ ٠٠٩٦٣

معرض حلب الدَّائم للكتاب

حلب - شـــارع القوتلي - جانب نادي الضُّباط - ص. ب: ٨٢٦٠
هـ : ٢٢٤٢١١٧ - فاكـــــــس : ٢٢٢٦٥٢٨ - ٢١ ٠٠٩٦٣

مكتبة الحقيقة

اللاذقـــيَّة - مقابل مدخل الجامعة - هـ: ٤٢١٤٤٠ - ٤١ ٠٠٩٦٣

مكتبة كردية

اللاذقيَّة - شارع البلدية القديمة - هـ: ٤٧٥٣١٤ ٤١ ٠٠٩٦٣

* * *